السنة الثالثة والثلاثون - العدد الثامن - شعبان ١٤٢٥هـ - الثمن ١٥٠ قرش

استذكار القرآن وتعاهده

أسباب النصر وأسباب الهزيمة

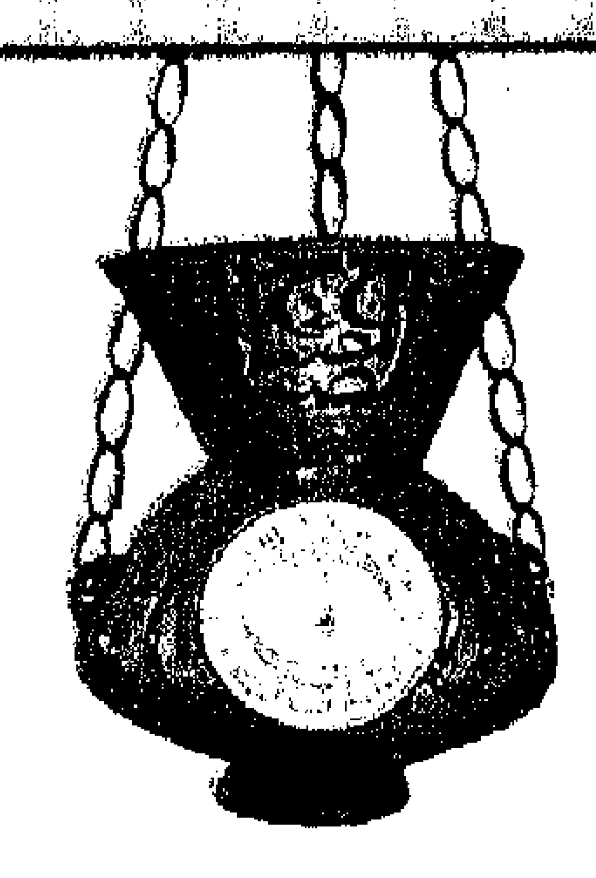


المال الحرام وتنقية المكاسب



النبي ﷺ في شعبان

بسم الله الرحمن الرحيم





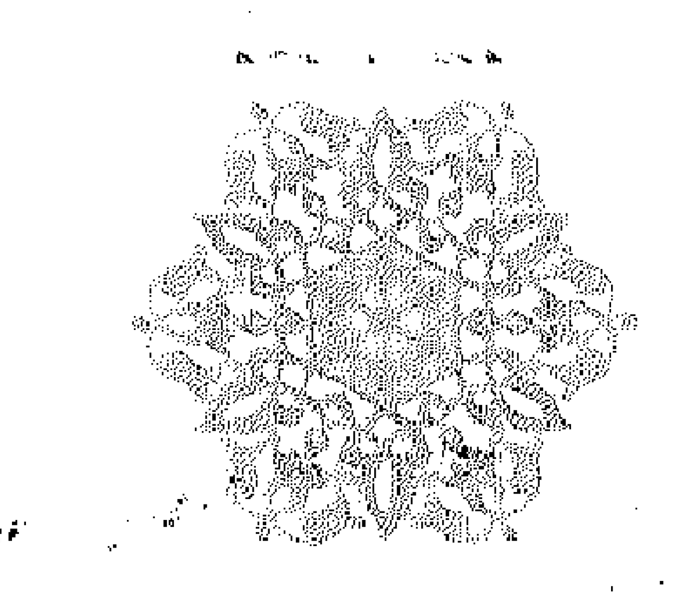
مجلة التوحيد

إسلامية - ثقافية - شهرية

السنة الثالثة والثلاثون

العدد الثامن - شعبان ١٤٢٥هـ

الثمن ١٥٠ قرشًا



السلام عليكم

أسباب النصر وأسباب الهزيمة

في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثرت فتوح المسلمين حتى هزموا الروم بأجنادين وفحل ودمشق والأردن وفلسطين وحمص وغير ذلك، فلما رأى ملكهم هرقل كثرة هزائمهم قال لأحدهم: أخبروني ويلكم عن هؤلاء القوم الذين تلقونهم أليسوا بشرًا مثلكم؟ قال: بلى، قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قال: نحن أكثر منهم أضعافًا. قال: فما بالكم تنهزمون إذا لقيتموهم؟ قال: من أجل أنهم إذا حملوا علينا وقاتلونا صدقوا ولم نصبر، وإذا حملنا عليهم وقاتلناهم صبروا ولم نصدق.

فقال: فما بالكم لستم مثلهم؟ قال: من أجل أن القوم يقومون الليل ويصومون النهار، ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يظلمون أحدًا ويتناصحون فيما بينهم، ومن أجل أنَّا نشرب الخمور ونركب الحرام وننقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بسخط الله وننهى عن ما يرضي الله ونفسد في الأرض، فقال هرقل: صدقتني وما لي في صحبتكم من خير وأنتم هكذا.

فهل عرف أهل الإسلام أسباب النصر وأسباب الانهزام؟

رئيس التحرير

البريد الإلكتروني

المجلة Mgtawheed@hotmail.com

رئيس التحرير Gshatem@hotmail.com

التوزيع والاشتراكات Ashterakat@hotmail.com

موقع المجلة على الإنترنت www.altawhed.com

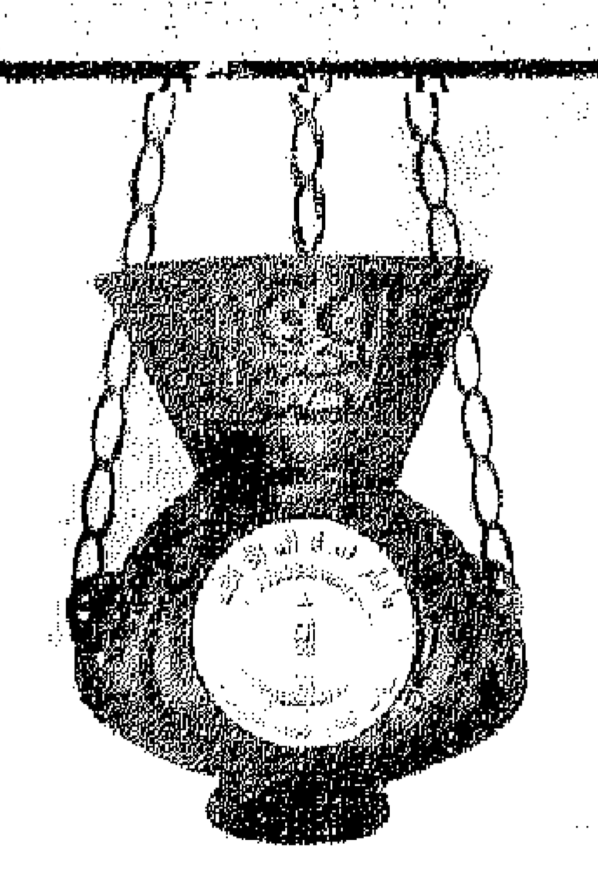
موقع المركز العام www.ELsonna.com

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين القاهرة

ت: ٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات ت: ٣٩١٥٤٥٦

جمال سعد حاتم **حسين عطا القراط**



صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

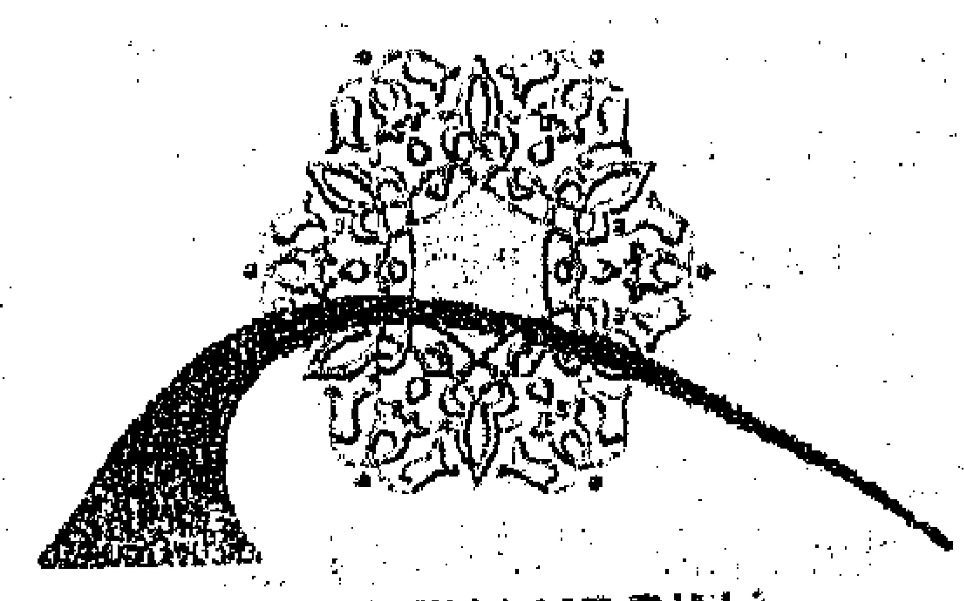
في هذا العدد

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشًا ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكى، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو.

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد ـ على مكتب بريد عابدين).
٢ ـ في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي ـ فرع القاهرة ـ باسم مجلة التوحيد ـ انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).



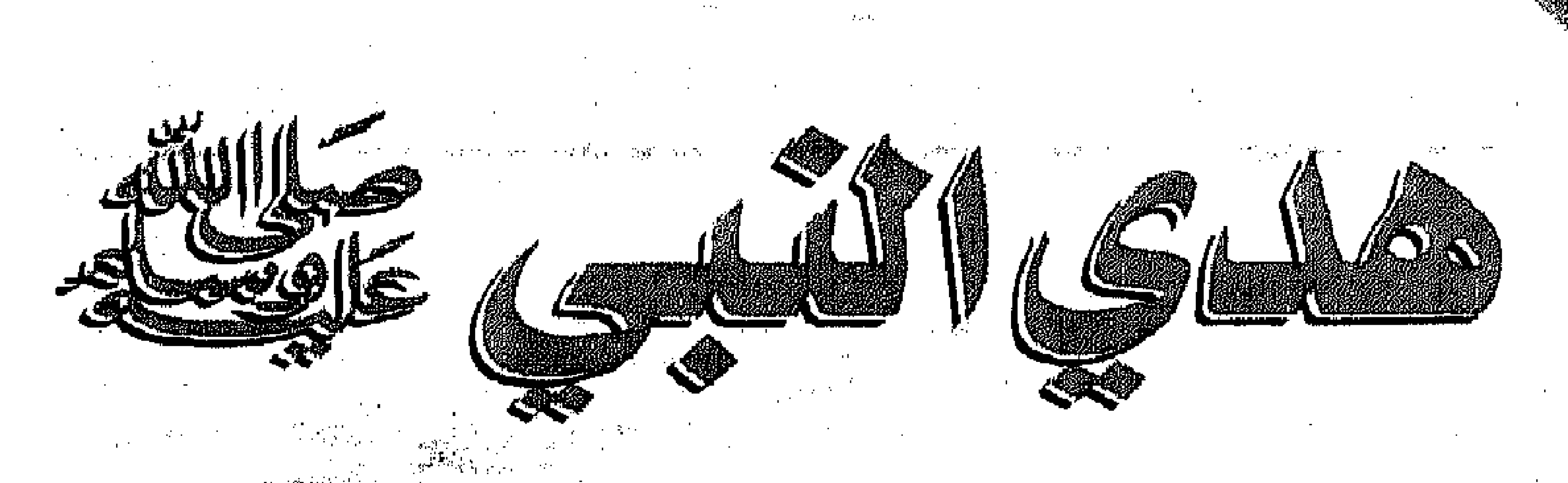
التوزيع الداخلي

مؤسســـة الأهـــــرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

المركز العام: **القاهرة ـ ٨ شارع قوله ـ عابدين**

هاتف: ٣٩١٥٥٧٦ ـ ٣٩١٥٤٥٦

مطابع الأهرام التجارية ـ قليوب ـ مصر



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

شهر شعبان من الأشهر القليلة التي يهتم بها المسلمون، فكان سلفنا الصالح يهتمون بصومه اقتداء برسول الله ﷺ، ثم درج الخلف على الاهتمام ببدع ما أنزل الله بها من سلطان، خاصة في ليلة النصف من شعبان، ونحن نعرض لهذا السنن نرغب فيها، ولهذه البدع نحذر منها.

فائدة: سمي شعبان بهذا الاسم لأنهم كانوا يتشعبون في الغارات بعد أن يخرج شهر رجب الحرام أو لتشعبهم في طلب الماء، والأول أولى وأرجح.

١- صوم شعبان:

كان النبي ﷺ يحتفي بشعبان ويصوم فيه أكثر من غيره من الشهور حتى يُقال لا يفطر، كما في حديث عائشة عند البخاري ومسلم: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، فما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان.

وعن عائشة أيضًا رضي الله عنها قالت: لم يكن النبي ﷺ يصوم شهرًا أكثر من شعبان، وكان يصوم شعبان كله، وكان يقول: «خذوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا، وأحب الصلاة إلى النبي ﷺ ما دووم عليه وإن قلت، وكان إذا صلى صلاة داوم عليها». [متفق عليه]

وفي رواية لمسلم: «كان لا يصوم من السنة شهرًا تامًا إلا شعبان يصله برمضان».

قال بعض أهل العلم: إما أن يُحمل قول عائشة في صيام شعبان كله على المبالغة، والمراد أنه كان يصوم الأكثر، وإما أن يجمع بين النصوص على أن قولها الثاني متأخر عن قولها الأول، فأخبرت عن أول أمره أنه كان يصوم أكثر شعبان، وأخبرت ثانيًا عن آخر أمره أنه كان يصومه كله، وقيل: المراد أنه كان يصوم من أوله تارة، ومن آخره أخرى، ومن أثنائه طورًا فلا يخلي شيئًا منه من صيام، ولا يخص بعضه بصيام دون بعض.

ونقل الترمذي عن ابن المبارك أنه قال: جائز في كلام العرب إذا صام أكثر الشهر أن يقول صام الشهر كله، ويقال: فلان قام ليلته أجمع، ولعله قد تعشي واشتغل ببعض أمره.

٢- صوم سرر شعبان:

السرر هي الأيام الأواخر من الشهر سميت بذلك لاستسرار القمر فيها وهي ليلة ثمان وعشرين وتسع وعشرين وثلاثين.

وقيل: سرر الشهر أوله، وقيل: وسط الشهر لأن السرر جمع سرة وسرة الشيء أوسطه، ويؤيده الندب إلى صيام البيض وهي وسط الشهر ولأنه لم يرد في صيام آخر الشهر ندب، بل ورد فيه نهي خاص وهو صيام آخر شعبان لمن صامه لأجل رمضان.

وفي الصحيحين عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه ساله فقال: هل صمت من سرر هذا الشهر شيئًا، يعني شعبان؟ فقال: لا، قال: فإذا أفطرت فصم يومين. [اللفظ لمسلم]

ويتبين من جمع روايات هذا الحديث أن السؤال وقع في رمضان، والمسئول عنه سرر شعبان، ولهذا قال في آخره: «فإذا أفطرت» يعني من رمضان فصم يومين عوضًا عن سرر شعبان.

٣- النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم. [رواه البخاري]

في شعبان



بقلم/ د. جمال المراكبي
الرئيس العام

قال العلماء: معنى الحديث لا تستقبلوا رمضان بصيام على نية الاحتياط لرمضان.

وقال الترمذي بعد أن أخرج الحديث: العمل على هذا عند أهل العلم كرهوا أن يتعجل الرجل بصيام قبل دخول رمضان لمعنى رمضان، ومثل هذا حديث عمار بن ياسر في صيام يوم الشك ولفظه: «من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ». وكذلك الحديث الذي أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره عن أبي هريرة مرفوعًا: «إذا انتصف شعبان فلا تصوموا».

وقد قال بعض الشافعية: يحرم تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين، ويكره التقدم من نصف شعبان للحديث الآخر، وجمهور العلماء يجوزون الصوم تطوعًا بعد نصف شعبان ويضعفون الحديث.

٤- الحكمة من صيام شعبان:

ولكن ما الحكمة في إكثار النبي ﷺ من صوم شعبان؟

قيل: كان ينشغل عن صوم الثلاثة أيام من كل شهر لسفر أو غيره فتجتمع فيقضيها في شعبان، وقد روى في ذلك حديث ضعيف.

وقيل: كان يصنع ذلك لتعظيم رمضان، وروى في ذلك حديث ضعيف أيضًا، وقيل: كان يكثر من الصوم في شعبان لما يفوته من التطوع في رمضان، فصيام رمضان فريضة، والنبي ﷺ ما كان يخلي شهرًا من الشهور من صيام تطوع، إلا رمضان فلا تطوع فيه، فكان يكثر من صوم شعبان لما يفوته من التطوع في رمضان.

وأصح ما قيل في ذلك أنه شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان كما في حديث النسائي وأبي داود وابن خزيمة عن أسامة بن زيد قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يُرفع عملي وأنا صائم».

٥- قضاء صوم رمضان في شعبان:

يجوز تأخير القضاء لمن أفطر في رمضان لعذر إلى شعبان، ويحرم تأخير القضاء بعد ذلك لغير عذر شرعي.

وقد كان نساء النبي ﷺ يؤخرن صيام الأيام التي يفطرنها من رمضان حتى يجيء شعبان فيقضينها فيه وذلك لحاجة رسول الله ﷺ.

ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان يكون عليَّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان.

وقد كان النبي ﷺ يكثر الصوم في شعبان، فلذلك كان لا يتهيأ لها القضاء إلا في شعبان لتصوم معه ﷺ.

ورد في فضل هذه الليلة وهي الليلة الخامسة عشر من شعبان أحاديث رواها أصحاب السنن كالترمذي وابن ماجه وأحمد وهي أحاديث ضعاف باتفاق أهل العلم، وقد قوى بعضهم بعض هذه الأحاديث بشواهدها.

روى الترمذي عن عائشة قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة فخرجت، فإذا هو بالبقيع، فقال: أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قلت: يا رسول الله، إني ظننت أنك أتيت بعض نسائك، فقال: «إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب».

قال أبو عيسى: حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الحجاج بن أرطاة.

وسمعت محمدًا- يعني البخاري- يضعف هذا الحديث وقال: يحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة، والحجاج بن أرطاة لم يسمع من يحيى.

قال المباركفوري: ورد في ليلة النصف من شعبان عدة أحاديث مجموعها يدل على أن لها أصلاً، وساق معظم هذه الأحاديث وحكم عليها ما بين منقطع ومرسل وضعيف ولين.

وممن حسن هذه الأحاديث بشواهدها الألباني رحمه الله حيث علق على حديث ابن ماجه: «إن الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن». فقال: حسن.

وعلى فرض صحة هذه الأحاديث فليس فيها

سوى أن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا فيغفر لعدد كبير من خلقه عدا المشرك والمشاحن.

والعجيب أن أهل البدع يتعلقون بمثل هذه الأحاديث فيؤصلون بدعهم كإحداث تخصيص صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته وينسون أن التنزل الإلهي إلى السماء الدنيا يكون في كل ليلة كما في الحديث الصحيح:

«ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر فيقول: هل من مستغفر فاغفر له، هل من داع فاستجيب له، هل من سائل فاعطيه، إلى أن يطلع الفجر».

فهلا تمسكوا بهدي النبي ﷺ في قيام الليل والحرص على وقت السحر ليتعرضوا لهذه البركات.

بدع الشيعة في ليلة النصف

في موضع للشيعة على شبكة الإنترنت ذكروا:

١- في هذه الليلة تكون زيارة سيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام فقد روي عن الصادقين عليهم السلام أنهم قالوا: إذا كانت ليلة النصف من شعبان نادى مناد من الأفق الأعلى: زائري قبر الحسين بن علي مغفور لكم، ثوابكم على ربكم ومحمد نبيكم.

ومن لم يستطع زيارة الحسين بن علي عليهما السلام في هذه الليلة فليزر غيره من الأئمة عليهم السلام، فإن لم يتمكن من ذلك أومأ إليهم بالسلام، وأحياها بالصلاة والدعاء.

وقد روي أن أمير المؤمنين عليه السلام كان لا ينام في السنة ثلاث ليال: ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، ويقول إنها الليلة التي ترجى أن تكون ليلة القدر، وليلة الفطر ويقول في هذه الليلة يعطى الأجير أجره، وليلة النصف من شعبان، ويقول: في هذه الليلة يفرق كل أمر حكيم.

وقد روي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: إذا كان ليلة النصف من شعبان أذن الله تعالى للملائكة بالنزول من السماء إلى الأرض، وفتح فيها أبواب الجنان وأجيب فيها الدعاء، فليصل العبد فيها أربع ركعات يقرأ في ركعة فاتحة الكتاب مرة، وسورة الإخلاص مائة مرة، فإذا فرغ منها بسط يديه للدعاء، وقال في دعائه: اللهم إني إليك فقير، وبك عائذ، ومنك خائف، وبك مستجير، رب لا تبدل اسمي، ولا تغير جسمي، وأعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ برحمتك من عذابك، إنك كما أثنيت على نفسك، وفوق ما يقول القائلون، صل على محمد وآل محمد، وافعل بي كذا وكذا، ويسأل حوائجه فإن الله تعالى جواد كريم.

وروي أنه من صلى هذه الصلاة ليلة النصف من شعبان غفر الله له ذنوبه، وقضى حوائجه، وأعطاه سؤله.

وهذه البدع التي يروج لها الشيعة ولا أصل لها يروج لها المتصوفة، فقد زعموا أن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة النصف من شعبان، والحق الذي لا مراء فيه أنها ليلة القدر التي أنزل الله فيها القرآن بالنص القاطع: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾.

حديث صلاة مائة ركعة بالإخلاص عشر مرات في كل ركعة في ليلة النصف من شعبان موضوع، كما ذكر القاري ونقله صاحب التحفة المباركفوري.

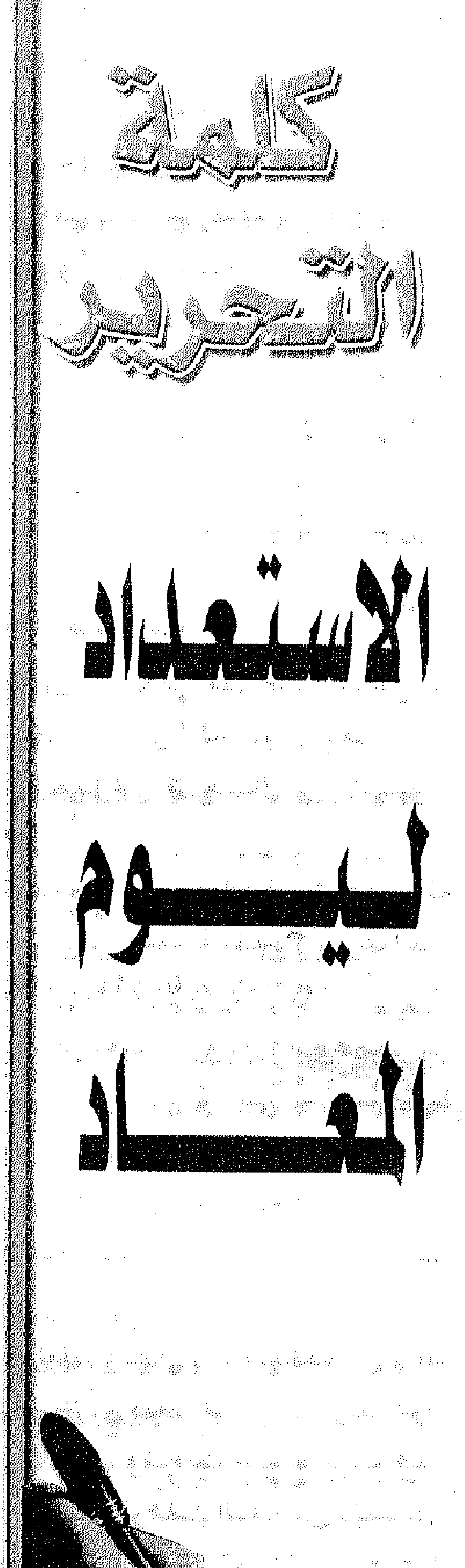
ومما أحدث في ليلة النصف من شعبان الصلاة الألفية مائة ركعة بالإخلاص عشرًا عشرًا بالجماعة، واهتموا بها أكثر من الجمع والأعياد، ولم يأت بها خبر ولا أثر إلا ضعيف أو موضوع، ولا تغتر بذكر صاحب القوت والإحياء وغيرهما.

وأول حدوث لهذه الصلاة ببيت المقدس سنة ٤٤٨هـ، وقد جعلها جهلة أئمة المساجد مع صلاة الرغائب شبكة لجمع العوام، ثم إنه أقام الله أئمة الهدى في سعي إبطالها فتلاشى أمرها وتكامل إبطالها في البلاد المصرية والشامية في أوائل سني المائة الثامنة، وكذلك قام مشايخنا في جماعة أنصار السنة المحمدية بإنكار هذه البدع والتحذير منها.

وقيل: أول حدوث الوقيد- إيقاد السرج والنيران- من البرامكة وكانوا عبدة النار فلما أسلموا أدخلوا في الإسلام ما يموهون أنه من سنن الدين ومقصودهم عبادة النيران.

ومن يطالع مجلة التوحيد منذ نشأتها، وقبلها مجلة الهدي النبوي لسان حال جماعة أنصار السنة المحمدية يجد المقالات العديدة التي تحذر الناس من البدع عامة، وهذه البدع بوجه خاص ولا أريد أن أخص شيخًا بعينه، فكلهم قاموا ناصرين للسنة قامعين للبدعة، رحمهم الله رحمة واسعة.

والحمد لله رب العالمين



الحمد لله ملاذ الخائفين ومنجي المتقين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لقد خلق الله الخلق لتنفذ فيهم مشيئته وتجرى عليهم أحكامه الشرعية والقدرية ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨]، خلق الخلق بالحق ليُطَاع الربُّ جل وعلا وتُعمرَ الأرض بالصلاح والإصلاح، وجعل الله للمكلفين مشيئةً واختيارًا أناط به التكليف، ولا يخرج العبد بتلك المشيئة عن قدرة الله ومشيئته، فمن وافق مراد الله وعمل بالحق الذي لأجله خلق الخلق وأطاع ربَّه جزاه الله الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧] ومن ضادَّ مراد الله وعارض شريعة الإسلام وعصى ربَّه عاقبه الله في الدنيا والآخرة قال عز وجل: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه١٢٣-١٢٤].

وأعمال العباد محصاةٌ عليهم صغيرها وكبيرها ليجازوا عليها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم:٣١].

فالجزاء الحقيقي الدائم في الآخرة، وأمّا في الدنيا وإن كان فيها جزاءٌ على الخير أو على الشر فإنه جزاء قليل، وجزاء منقطع، تتصرّم أيامه، وتُسْرِعُ ساعاتُه حتى إن عمر الدنيا ليراه العصاةُ مقدار ساعة من نهار كما قال تبارك وتعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم:٥٥]. ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ..﴾ [يونس:٤٥]. ولكن الجزاء الأبدي السرمدي الذي لا ينقطع في الآخرة؛ إمّا دار نعيم، وإما دار جحيم.

الجزاء من جنس العمل

والجزاء بالجنة على الأعمال الصالحة والعقاب بالنار على الأعمال الشريرة في غاية المناسبة والمجانسة، فإن الجزاء من جنس العمل، فلمّا كانت الأعمال الصالحة تتنوع في حقائقها ومنافعها كان نعيم الجنة منوعًا في حقائقه ومنافعه وطعومه ولذاته، ولما عبد أهل الجنة ربهم بالغيب ولم يروه تجلّى الله لهم، فأكرمهم بلذة النظر إلى وجهه الكريم، وأسمعهم جلال كلامه العظيم، ولمّا علم الله منهم العزم والتصميم والإرادة الجازمة على دوام عبادة الله وطاعته أدام الله عليهم النعيم المقيم كما قال تبارك



كلمة التحرير

وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ [الكهف:١٠٧، ١٠٨].

ولما كانت الأعمال الشريرة تتنوع في حقائقها المرّة ومضارّها وخُبثها وشُرورها كان عذاب النار متنوعًا في شدته وألمه ومرارته بحسب الأعمال، ولما حجبوا قلوبهم عن الهدى والإيمان احتجبَ الله عنهم فلا يرَونَه كما قال تعالى ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين١٥].

ولما علم الله أن أهل النار دائمو العزم والإرادة على الكفر والمعاصي وأنهم إن رُدّوا إلى الدنيا عادوا إلى الكفر والعصيان لما علم الله منهم ذلك أدام عليهم العذاب الأليم قال تبارك وتعالى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنعام:٢٧، ٢٨].

الطمع في الجنة والخوف من النار

إن أصفى ساعات المسلم وأفضلها أن يستولي على قلبه الطمع في الجنة والخوف من النار، وقد كان السلف رضوان الله عليهم يغلب على قلوبهم الخوف من النار والطمع في الجنة في كل حالٍ من الأحوال فصلحت أعمالهم واستقامت لهم أمورهم.

هذا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يودّع أصحابه في غزوة مؤته فيبكي فيقال له ما يبكيك؟ فقال والله ما أبكي صبابة بكم ولا جزعًا على الدنيا ولكن ذكرتُ قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًا ﴾ [مريم:٧] فكيف لي بالصّدر بعد الورود؟!(١)، وعمير بن الحمام رضي الله عنه لما قال ﷺ في غزوة بدر: «قوموا إلى جنة عرضُها السموات والأرض» كان في يده تمراتٌ فرمى بهنّ وقال لئن بقيت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فقاتل حتى قُتل رضي الله عنه(٢). وأنسُ بن النّضر رضي الله عنه قال: إني لأجد ريح الجنة من دون أحد، وذلك في غزوة أحُد فقُتِل رضي الله تعالى عنه(٣).

ونحن بحاجة إلى ذكر الجنة والنار ليلنا ونهارنا لتستقيم أحوالنا وتصلح أعمالُنا، ولا سيّما في هذا العصر الذي طغت فيه المادة وتظاهرت الفتن وانتشرت، وقلّ الناصح وضعُف الإيمان، وتزينت الدنيا بزخرفها وزهرتها، وأثقلت الكواهل بكثرة مطالبها، وارهقت النفوس بتشعُّب حاجاتها، حتى صار التحابُّ من أجلها والتباغُض من أجلها، والتواصُل لها والتقاطع معها، إلا من شاء الله تعالى، فكانت أكبر ما يصُدُّ عن الآخرة قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يونس:٧، ٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «بناء الجنة لبنة ذهب ولبنة فضّة وملاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران ومن يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابه ولا

إن أصفى ساعات المسلم وأفضلها أن يستولي على قلبه الطمع في الجنة والخوف من النار، وقد كان السلف رضوان الله عليهم يغلب على قلوبهم الخوف من النار والطمع في الجنة في كل الأحوال فصلحت بذلك أعمالهم واستقامت لهم أمورهم

يفنى شبابه»(٤).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا»(٥).

وأما شرابهم فكما قال المولى جل وعلا ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [محمد:١٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في أزواج أهل الجنة: «يضع أحدهم يده على كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت بدُه مرآة لها وكبده مرآة له»(٦).

[رواه أبو يعلي والبيهقي]

وصف الجنة والنار في القرآن الكريم

وقد وصف الله سبحانه وتعالى الجنة في القرآن وما فيها من النعيم المقيم بما لم يُوصف في كتاب منزل لنعمل بأعمال أهل الجنة ولنسارع إلى الخيرات ونطلب جنَّة ربنا، ونسأل ربنا ذلك ونتعرض لرحمته، فإنه لن يدخل الجنة أحدٌ إلا برحمة الله.

وأعظم من نعيم الجنة رضوان رب العالمين والنظر إلى وجهه الكريم، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٧٢].

وأما النار وما أدراك ما النار فهي مثوى الأشرار، ومستقر الخزي والصغار، بعيدة القعر لو أن الحجر يُلقى من شفيرها ما أدرك لها قعرًا سبعين خريفًا». [رواه مسلم]

طعام أهلها الزّقوم من شجرة تخرج في جهنم وتتغذى بجهنم، والضريعُ الذي لا يُسمنُ ولا يغني من جوع خبيث الطعم مر المذاق، شديد الحرارة، ينشب في الحلق، فلا يستسيغه إلى جوفه إلا بالماء البالغ الحرارة فإذا وصل إلى الجوف قطع الأمعاء. ﴿.. وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد:١٥]

ومن شرابهم المُهلُ والغسّاق وهو الصديد من القيح والدّم ولباسُهم القطران والحديد ولهم ثياب من نار والعياذ بالله قال الله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج:١٩ - ٢٢].

قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[التوبة:١٠٥]

نحن بحاجة ماسة إلى ذكر الجنة والنار ليلنا ونهارنا لتستقيم أحوالنا وتصلح أعمالنا، لا سيما في هذا العصر الذي طغت فيه المادة وانتشرت فيه الفتن وقل الناصح وضعف الإيمان

كلمة التحرير

الجنة عرضها السموات والأرض، والنار إذا ألقي الحجر من على شفيرها يصل إلى قعرها في سبعين سنة

فعل الصالحات وترك المنكرات

دعانا مولانا إلى جنّات النعيم بتقديم الأعمال الصالحات ومجانبة السيئات فقال تعالى ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[آل عمران:١٣٣-١٣٤]

وفي الحديث عن النبي ﷺ «كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبى»، قالوا ومن يأبى يا رسول الله؟! قال «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» [أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

فلا يركنن أحد إلى الدنيا ونعيمها حتى لا تُنْسِيَهُ الدار الآخرة فما هذه الدنيا إلا أضغاث أحلام وظل شجرة ومتاع غرور ما أسرع أيامها في الانقضاء.

وفي الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «يؤتى بأشد الناس في الدنيا بؤسًا ويغمس في الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت نعيمًا في الدنيا قط؟ فيقول: لا والله ما رأيت نعيمًا قط».

[أخرجه مسلم (٧٢٨٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

ولأن الجنة تُنْسي كل بؤس ولأن النار تنسي كل نعيم قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء:٢٠٥ - ٢٠٧]، وإنما تطلب الجنة برضوان الله تبارك وتعالى وعبادته كما شرع رسول الله ﷺ.

فليتق المسلمون ربهم وليحرصوا على جنته ورضوانه فلن تنفعهم الدنيا وزخارفها وليعرفوا جيدًا أن الإنسان إلى زوال وسوف يحاسبه الله عما اقترفت يداه وسوف يسأل عما اؤتمن عليه حافظ أم ضيّع.

ونحن مقبلون على أيام مباركة يعفوا الله فيها عمن تاب وأناب.

نجانا الله وإياكم من النار وأهلها وقربنا من الجنة وجعل لنا فيها موقعًا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هوامش:

(١) رواه بن إسحاق كما في السيرة النبوية وأبو نعيم في الحلية، والهيثمي في المجمع ١٥٩/٦.

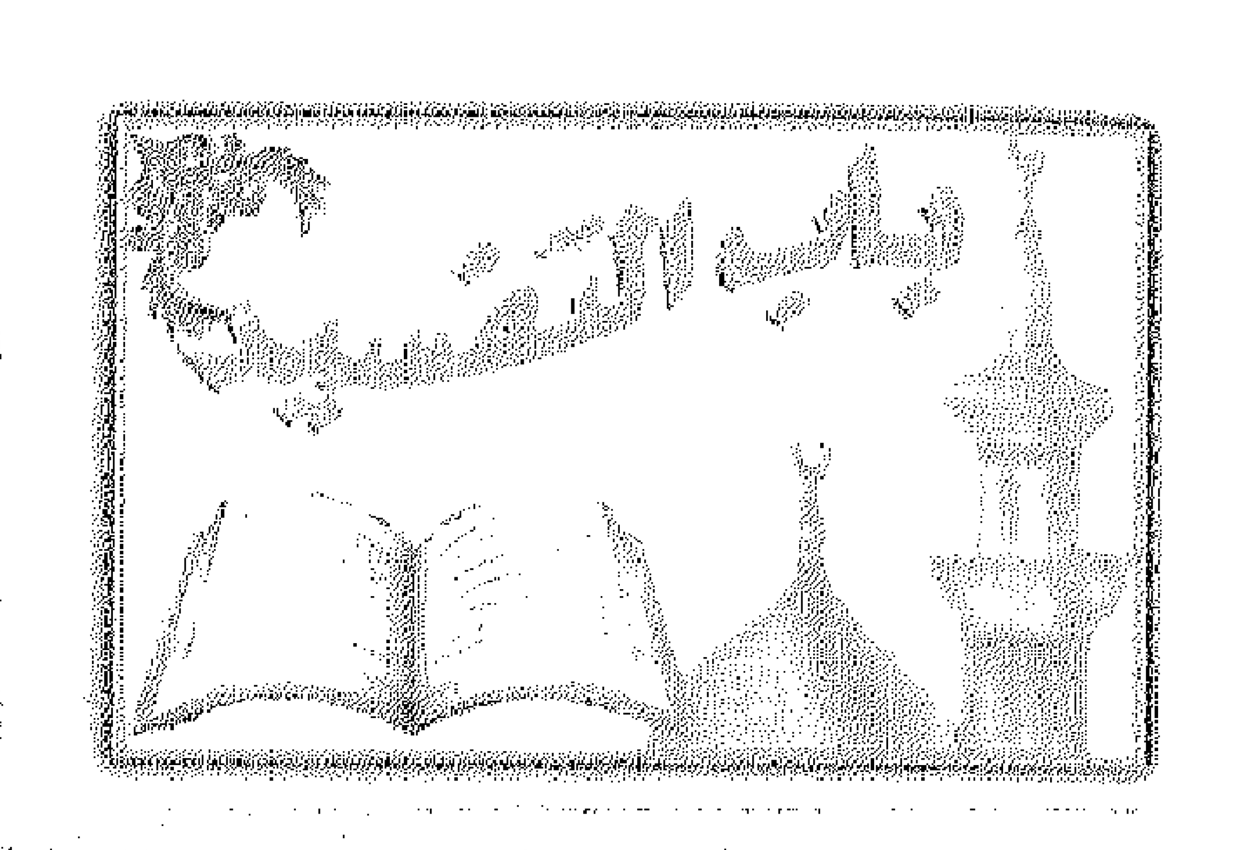
(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٩٠١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري في الجهاد ٢٨٠٦ ومسلم في الإمارة.

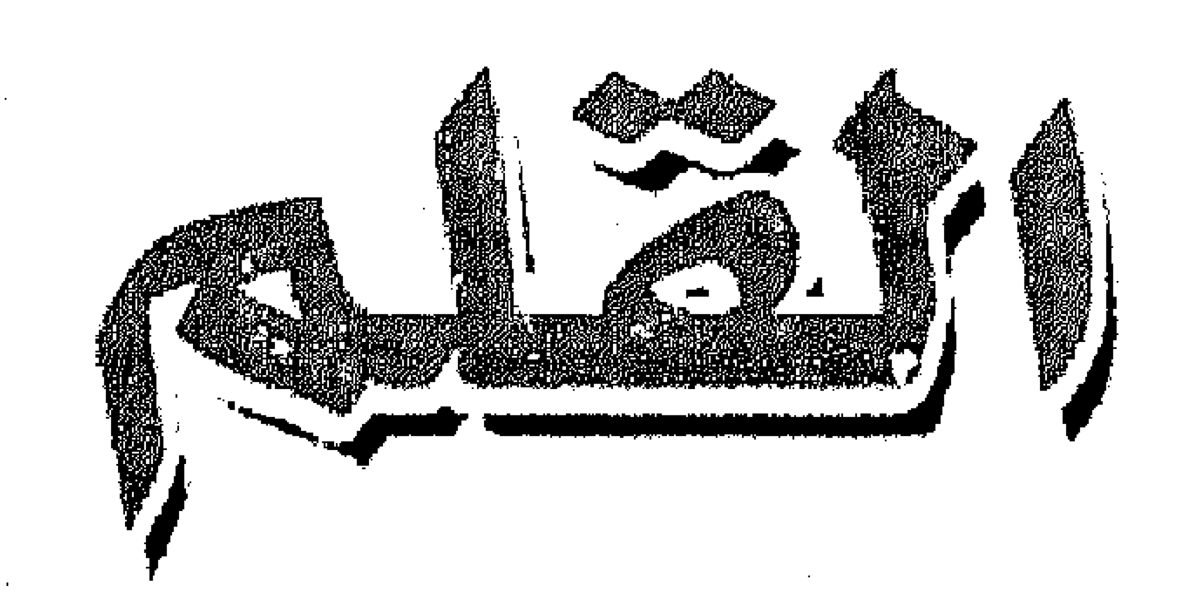
(٤) أخرجه أحمد والترمذي والدارمي.

(٥) البخاري ومسلم.

(٦) عزاه المنذري في الترغيب لأبي يعلى والبيهقي. وقال الألباني في ضعيف الترغيب (٤٩٢/٢) وهو حديث طويل جدًا في نحو ثمان صفحات.



سورة





إعداد
د. عبد العظيم بدوي

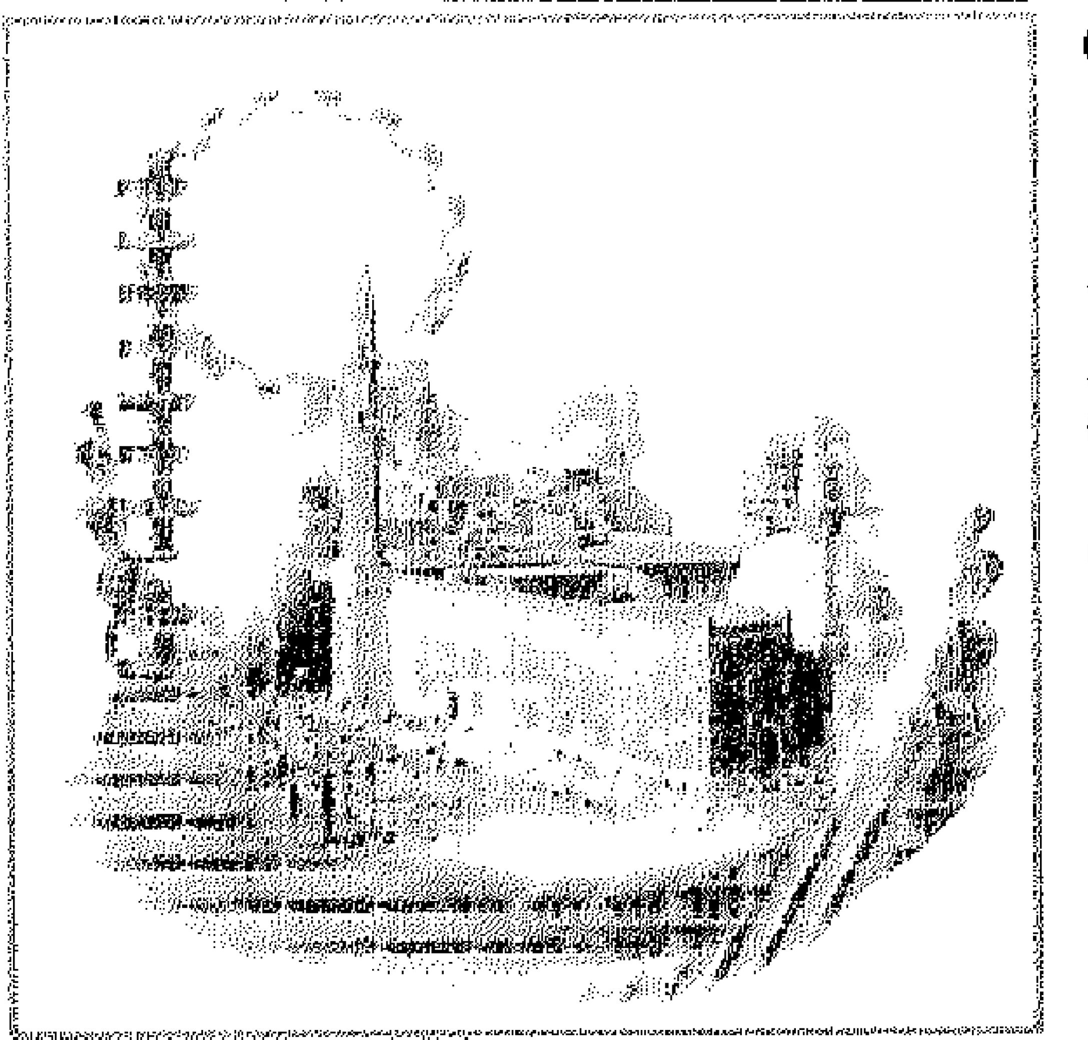
قال تعالى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٧) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾

[القلم: ٣٤- ٥٢]

تفسير الآيات

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ أي خلِّ بيني وبينهم، فإنهم أعدائي كما أنهم أعداؤك، فاتركهم لي، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾، ومن الاستدراج أن يوسِّع الله عليهم في الدنيا، ويبسط لهم في الرزق، يكثِّر أموالهم وأولادهم، فيغترون بذلك فيقولون: لولا أنّ الله عنَّا راضٍ ما أعطانا، فيقيمون على كفرهم، ويفرحون بما أوتوا، ولا يزالون كذلك حتى يأخذهم الله، ولذا قال تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]. وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]، ولهذا قال ههنا: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ أي: وأؤخرهم وأنظرهم وأمدّهم، وذلك من كيدي ومكري بهم، وكيدي متين، أي عظيم لمن خالف أمري، وكذّب رسلي، واجترأ على معصيتي. قال النبي ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته». ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [المدثر: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ بمعنى ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٩]. هل سألتهم أجرًا على تعليمهم وهدايتهم، فثقل عليهم لفقرهم؟ كلا، فالنبي ﷺ لم يسألهم أجرًا، وكذلك الأنبياء كلهم قال: ﴿يَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [هود: ٥١]، وهل يعقل أن يكون للأنبياء أي مطمع فيما في أيد الناس من حطام الدنيا الزائل، إنّ الدنيا كلّها لو أعطيها الأنبياء أجرًا لهم على دعوتهم لكان أجرًا قليلاً، ولذلك لم يسأل

الأنبياء أقوامهم أجرًا على دعوتهم بل صرّح كلٌّ منهم بالأجر الذي ينشده ويرجوه بقوله: ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾، فلماذا إذن لا يقبلون الهداية؟ ﴿ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾؟ كلا، ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، فلم يبق إلا التكذيب والعناد، وإذ الأمر كذلك: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ اصبر على تكذيبهم واصبر على إعراضهم، واصبر على أذاهم، فإن الصبر زادُ الداعية، وكلما كثر زادُه كلما كثر أجره أولاً، ثم يكثر أتباعه ثانيًا، وكلّما قل زاده قل أجره، لأنه ربما ترك الدعوة إذا نفد صبره، فالواجب على الداعية أن يصبر ويحتسب، وألا يتعجل النتائج، فإنّ وعد الله حقّ، ولكن ليس بلازم، أن يرى الداعية نفسه نتائج دعوته، وليس بلازم أن يقطف الداعية نفسه ثمرة دعوته، فكم زَرَعَ أناسٌ وحصد غيرهم، وكم غرس أناس وأكل غيرهم، ولذا كثر في القرآن الكريم أمر النبي ﷺ بالصبر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [غافر: ٧٧]، كما نُهي ﷺ عن الاستعجال، قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وحُذر هنا أن يكون كصاحب الحوت، قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وهذه الآيات يفسّرها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [الصافات: ١٣٩- ١٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨]، فهذه تجربة مرّ بها داعية من الدعاة، ونبي من الأنبياء، وهو يونس عليه السلام، «يذكر الله بها محمدًا ﷺ لتكون له زادًا، يعينه على عبئه الثقيل الكبير، عبءِ هداية البشرية جميعها، ملخص تلك التجربة أن يونس ابن متى- سلام الله عليه- أرسله الله إلى أهل قرية- قيل اسمها نينوى بالموصل- فاستبطأ إيمانهم وشقّ عليه تلكؤهم، فتركهم مغاضبًا قائلاً في نفسه إن الله لن يضيّق عليّ بالبقاء بين هؤلاء المتعنتين المعاندين، وهو قادر على أن يرسلني إلى قوم آخرين، وقد قاده الغضب والضيق إلى شاطئ البحر، حيث ركب سفينة، فلما كانوا في وسط اللج ثقلت السفينة وتعرّضت للغرق، فأقرعوا بين الركاب للتخفيف من واحدٍ منهم لتخف السفينة، فكانت القرعة على يونس، فألقوه في اليم، فابتلعه الحوت، عندئذ نادى يونس- وهو كظيم- في هذا الكرب الشديد في الظلمات في بطن الحوت، وفي وسط اللجة، نادى ربه: ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، فتداركته نعمة من ربه، فنبذه الحوت على الشاطئ لحمًا بلا جلد ذاب جلده في بطن الحوت، وحفظ الله حياته بقدرته التي لا يقيدها قيدٌ من مألوفِ البشر المحدود.



وهنا يقول: إنه لولا هذه النعمة لنبذه الحوت وهو مذموم، أي: مذموم من ربه، على فعلته، وقلة صبره، وتصرفه في شأن نفسه قبل أن يأذن الله له، ولكن أنعم الله عليه، وقبل الله تسبيحه واعترافه وندمه، وعلم منه ما يستحقّ عليه النعمة

والاجتنباء، ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

هذه هي التجربة التي مرّ بها صاحبُ الحوت، يذكّر الله بها رسوله محمدًا ﷺ في موقف العنت والتكذيب.

وفي الختام يوضح موقف الكافرين وهم يتلقون الدعوة من الرسول الكريم، في غيظ عنيف، وحسد عميق ينسكب في نظرات مسمومة قاتلة يوجهونها إليه، ويصفها القرآن بما لا مزيد عليه.

﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾. ولقد كان في العرب مَنْ هو معروفٌ بقوة الأثر في الشيء الذي ينظر إليه نظرة حسد، حتى إن كانت البقرة السمينة أو الناقة السمينة لتمر بأحدهم فيعاينها، ثم يقول: يا جارية، خذي المكتل والدرهم فأتينا بلحم هذه الناقة، فما تبرح حتى تقع للموت فتنحر، فسأل الكفار أحد هؤلاء أن يصيب لهم النبي ﷺ بالعين فأجابهم: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ [الأنفال: ٤٣]، فحفظ نبيه، وردّ كيد الخاسرين في نحره.

وفي هذه الآية دليلٌ على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل، ووردت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ، منها قولُه ﷺ: «إن العين حق». [مسلم: ٢١٨٧]. وعن أم سلمة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال لجارية في بيتها رأى في وجهها سفعةً- يعني صُفْرةً- فقال: «بها نظرة، استرقوا لها». [البخاري: ٥٧٣٩، ومسلم: ٢١٩٧]، ومعنى «بها نظرة» أي: محسودة، أصابتها العين.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: رخص النبي ﷺ لآل حزمٍ في رُقْيةِ الحيّة، وقال لأسماء بنت عُميس: «ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعةً؟ تصيبهم الحاجة؟ قالت: لا، ولكن العين تُسرعُ إليهم. قال: «ارقيهم». قالت: فعرضت عليه، فقال: «ارقيهم» [مسلم٢١٩٨].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: «العين حق، ولو كان شيءٌ سابق القدر سَبَقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا».

[مسلم: ٢١٨٨]

علاج العين

ومعنى: «وإذا استغسلتم فاغسلوا»: كان من عادتهم أن الإنسان إذا أصابته العين من أحدٍ جاء إلى العائن، فجُرد من ثيابه وغسل جسده ومعاطفه ووجهه وأطرافه، وأخذ المعينُ ذلك الماء فصبه عليه، فيبرأ بإذن الله، فأمرهم النبي ﷺ إذا استغسلوا أن يغسلوا. يُوضحه حديث محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أنه سمع أباه يقول: اغتسل أبي سهل بن حنيف بالخرّار، فنزع جُبّةً كانت عليه، وعامرُ بنُ ربيعة ينظر إليه، وكان سهل شديد البياض، حَسَنَ الجلد، فقال عامر: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأةٍ عذراء، فوعك سهل مكانه، واشتد وعكه، فأُخبر رسول الله ﷺ بوعكه، فقيل له: ما يرفع رأسه، وكان قد اكتتب في جيش، فقالوا له: هو غير رائح معك يا رسول الله، والله ما يرفع رأسه. فقال: هل تتهمون له أحدًا؟ قالوا: عامر بن ربيعة، فدعاه رسول الله ﷺ، فتغيظ عليه، وقال: علام يقتل أحدكم أخاه؟ ألا بركت؟ اغتسل له، فغسل عامر وجهه ويديه، ومرفقيه وركبتيه، وأطراف رجليه، وداخلة إزاره، في قدح، ثم صُبّ عليه من ورائه، فبرأ سهلٌ من ساعته. [رواه ابن ماجه: ٢/١١٦٠/٣٥٠٩].

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ أي يزدرونه بأعينهم، ويؤذونه بألسنتهم، ويقولون: إنه لمجنون، أي لمجيئه بالقرآن، ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾، فقال: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ والذكر لا يقوله مجنون، ولا يحمله مجنون، وصدق الله، وكذب المفترون.

والحمد لله رب العالمين.

باب السنة



استذكار القرآن وتعاهده

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خاتم النبيين وإمام المرسلين والمبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «بئس ما لأحدكم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت، بل نُسِّي، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصيًا من صدور الرجال من النَّعَم».

الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن باب استذكار القرآن وتعاهده برقم (٥٠٣٢)، وطرفه في باب نسيان القرآن برقم (٥٠٣٩). وأخرج قريبًا منه عن أبي موسى الأشعري وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم، كما أخرج الحديث الإمام مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين باب الأمر بتعهد القرآن برقم (٧٩٠)، وكذلك أخرج قريبًا منه في الباب نفسه عن ابن عمر رضي الله عنهما وعن أبي موسى رضي الله عنه، وأخرج الترمذي في أبواب القراءات باب «فاستذكروا القرآن» برقم (٢٩٤٢)، وأخرج النسائي في كتاب الافتتاح باب جامع ما جاء في القرآن برقم (٩٤٤)، كما أخرجه الدارمي في كتاب الرقاق وفي فضائل الأعمال، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/٣٨٢، ٤١٧، ٤٢٣، ٤٣٩، ٤٦٣).

راوي الحديث

هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم، الإمام الحَبْر، فقيه الأمة أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البدري حليف بني زهرة، كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا، وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، روى علمًا كثيرًا، وهو من القراء المشهورين من الصحابة والذين زكاهم النبي ﷺ وزكى قراءتهم، حدث عبد الله عن نفسه فقال: والذي لا إله غيره لقد قرأت من في رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة، ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لأتيته.

وفي لفظ البخاري (٥٠٠٢) قال رضي الله عنه: والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبتُ إليه.

ويكفيه قول الرسول ﷺ: «من سره أن يقرأ القرآن غضًا كما أُنزل فليسمعه من ابن مسعود».

وهو مع عنايته رضي الله عنه بالقرآن فهو مشهور بالإكثار من رواية الحديث عن رسول الله ﷺ، كما اشتهر بالعفة، ولقد كانت ساقا ابن مسعود دقيقتين مجموتين، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمر رسول الله ﷺ ابن مسعود، فصعد شجرة يأتيه منها بشيء، فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله فضحكوا من حموشة ساقيه، فقال رسول الله ﷺ: «ما تضحكون؟

لرجلُ عبيد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد».

شرح الحديث

هذا الحديث أورده الإمام البخاري في باب «استذكار القرآن وتعاهده» ضمن ثلاثة أحاديث، أما أولها فهو حديث ابن عمر رضي الله عنهما ولفظه: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المُعَقَّلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت». وهو من رواية عبد الله بن يوسف شيخ البخاري عن مالك عن نافع عن ابن عمر، وفيه تشبيه حامل القرآن الذي حفظه وألف تلاوته سواء كانت نظرًا من المصحف أم كانت عن ظهر قلب- تشبيه هذا بصاحب الإبل المعقلة، والمعقلة المشدودة بالعقال وهو الحبل الذي يُشد في ركبة البعير، شبه استذكار القرآن ومداومة تلاوته بربط البعير الذي يخشى منه الهرب، فالحفظ يبقى موجودًا مادام التعاهد موجودًا، كما أن البعير يبقى محفوظًا ما دام مشدودًا بالعقال.

قال الحافظ في الفتح: وخص الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسي نفورًا، وفي إمساكها بعد كمال نفورها صعوبة.

وقوله في هذا الحديث: «وإن أطلقها ذهبت» أي: انفلتت، وفي رواية عبيد الله بن عمر عن نافع عند مسلم: «إن تعاهدها صاحبها فعقلها أمسكها وإن أطلق عقلها ذهبت». وفي رواية موسى بن عقبة عن نافع عند مسلم أيضًا: «إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإذا لم يقم به نسيه».

الحديث الثاني هو حديثنا هذا؛ حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قوله: «بئس ما لأحدهم أن يقول»: بئس فعل يفيد الذم وهو فعل جامد غير متصرف مثل نِعْمَ التي للمدح، وهما فعلان يرفعان الفاعل ظاهرًا مثل: نعم الرجلُ محمدٌ، أو مضمرًا، فإن كان مضمرًا فلابد من ذكر اسم نكرة ينصب مفسرًا للضمير مثل: نعم رجلاً محمدٌ، وقد يكون هذا التفسير «ما» كما في هذا الحديث، وقوله تعالى: «فنعما هي».

قوله: «نَسِيتُ» قال الحافظ: بفتح النون وتخفيف السين اتفاقًا.

قوله: «آية كيت وكيت». قال القرطبي: كيت وكيت يعبر بهما عن الجمل الكثيرة والحديث الطويل، وجاء في المعجم الوسيط: وتكسر التاء كِيْتَ أي كذا وكذا، وهي كناية عن القصة والأحدوثة ولا تستعمل إلا مكررة.

قوله: «بل هو نُسِّي» نقل الحافظ ابن حجر قول القرطبي: رواه بعض رواة مسلم مخففًا، ثم قال: وكذا هو في مسند أبي يعلى، وكذا أخرجه ابن أبي داود في كتاب «الشريعة»، ونقل عن القاضي عياض قوله: كان اللكناني- يعني أبا الوليد الوقشي- ولا يجيز في هذا غير التخفيف، ثم قال الحافظ: قلت: والتثقيل هو الذي وقع في جميع الروايات في البخاري، وكذا في أكثر الروايات في غيره، ثم نقل عن القرطبي قوله: التثقيل معناه أنه عوقب بوقوع النسيان عليه لتفريطه في معاهدته واستذكاره، ومعنى التخفيف أن الرجل ترك غير ملتفت إليه وهو كقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾.

قال الحافظ في الفتح: واختلف في متعلق الذم من قوله: «بئس» على أوجه: الأول هو على نسبة الإنسان إلى نفسه وهو لا صنع له فيه، فإذا نسبه إلى نفسه أوهم أنه انفرد بفعله، فكان ينبغي أن يقول أُنسيت أو نُسِّيتُ على البناء للمجهول فيها، أي أن الله هو الذي أنساني كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾، وقوله تعالى: ﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾، وبهذا الوجه جزم ابن بطال فقال: أراد أن يجري على لسان العباد نسبة الأفعال إلى خالقها لما في ذلك من الإقرار له بالعبودية والاستسلام لقدرته وذلك أولى من نسبة الأفعال إلى مكتسبها مع أن نسبتها إلى مكتسبها جائز بدليل الكتاب والسنة،

وقد أضاف غلام موسى عليه السلام النسيان إلى نفسه مرة وإلى الشيطان مرة، فقال: ﴿إِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾، ولكل إضافة منها معنى صحيح، فالإضافة إلى الله بمعنى أنه خالق الأفعال كلها، وإلى النفس لأن الإنسان هو المكتسب لها، وإلى الشيطان بمعنى الوسوسة.

الوجه الثاني: كالأول، لكن سبب الذم ما فيه من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن، إذ لا يقع النسيان إلا بترك التعاهد وكثرة الغفلة، فلو تعاهده بالتلاوة والقيام به في الصلاة لدام حفظه وتذكره، فإذا قال الإنسان نسيت الآية الفلانية فكأنه شهد على نفسه بالتفريط فيكون متعلق الذم ترك الاستذكار والتعاهد لأنه الذي يورث النسيان، وقد رجح هذا الوجه القرطبي.

الوجه الثالث: قال الإسماعيلي: يحتمل أن يكون كره له أن يقول نسيت بمعنى ذكرت لا بمعنى السهو العارض كما قال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، وهذا اختيار أبي عبيد وطائفة.

الوجه الرابع: قال الإسماعيلي أيضًا: يحتمل أن يكون فاعل نسيت هو النبي ﷺ، كأنه قال: لا يقل أحد عني إني نسيت آية كذا، فإن الله هو الذي نساني ذلك لحكمة نسخه ورفع تلاوته وليس لي في ذلك صنع بل الله هو الذي ينسيني لما تنسخ تلاوته.

الوجه الخامس: قال الخطابي: يحتمل أن يكون ذلك خاصًا بزمن النبي ﷺ، وكان من ضرورة النسخ نسيان الشيء الذي ينزل ثم ينسخ منه بعد نزوله الشيء فيذهب رسمه وترفع تلاوته ويسقط حفظه عن حملته، فيقول القائل نسيت آية كذا، فنهوا عن ذلك لئلا يتوهم على محكم القرآن الضياع وأعلمهم أن الذي يكون من ذلك إنما هو بإذن الله لما رآه من الحكمة والمصلحة.

الوجه السادس: قال الإسماعيلي: وفيه وجه آخر وهو أن النسيان الذي هو خلاف الذكر إضافته إلى صاحبه مجاز لأنه عارض له لا عن قصد منه، لأنه لو قصد نسيان الشيء لكان ذاكرًا له حال قصده، قال الحافظ وهو كالوجه الأول.

ثم قال رحمه الله تعالى: وأرجح الأوجه هو الوجه الثاني، ويؤيده عطف الأمر باستذكار القرآن عليه.

وقال القاضي عياض: أولى ما يتأول عليه ذم الحال لا ذم القول؛ أي بئس الحال حال من حفظه ثم غفل عنه حتى نسيه، وقال النووي الكراهة فيه للتنزيه.

قوله ﷺ: «واستذكروا القرآن». أي: واظبوا على تلاوته وداوموا على قراءته واطلبوا من أنفسكم المذاكرة به. قال الطيبي: هو عطف من حيث المعنى على قوله: «بئس ما لأحدكم» أي: لا تقصروا في معاهدته واستذكروه.

قوله: «فإنه أشد تفصّيًا» أي: تفلُّتًا وتخلُّصًا، تقول: تفصيت كذا، أي: أحطت بتفاصيله.

ووقع في حديث عقبة بن عامر بلفظ: «تفلتًا» وكذا وقعت عند مسلم في حديث أبي موسى ثالث أحاديث الباب، وتفصيًا: منصوب على التمييز، قال الحافظ: وفي هذا الحديث زيادة على حديث ابن عمر، لأن في حديث ابن عمر تشبيه أحد الأمرين بالآخر، وفي الحديث أن القرآن أبلغ في النفور من الإبل، ولذا أفصح به في الحديث الثالث حيث قال: «لهو أشد تفصيا من الإبل في عقلها»؛ لأن من شأن الإبل محاولة التفلت ما أمكنها، فمتى لم يتعاهدها صاحبها برباطها تفلتت، فكذلك حافظ القرآن إن لم يتعاهده تفلت، بل هو أشد في ذلك. وقال ابن بطال: هذا الحديث يوافق الآيتين؛ قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾، فمن أقبل عليه بالمحافظة والتعاهد يسر له، ومن أعرض عنه ثقل عليه وتفلت منه.

وقوله: «من النَّعَم» أي: الأنعام وهو بفتح النون المشددة، والأنعام هي الإبل والبقر والغنم، وأما «النِّعم» بكسر النون فهي جمع نعمة، وليست مرادة

هنا، وأشد الأنعام تفلتًا هي الإبل، ولذلك جاء مصرحًا بها في حديث ابن عمر، وفي حديث أبي موسى.

وأما الحديث الثالث فهو حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وهو من رواية ابنه أبي بردة عنه ويرويه عن أبي بردة حفيده بريد بن عبد الله بن أبي بردة، فشيخ بُرَيْدٍ في هذا الحديث هو جده أبو بردة، وفي هذا من اعتناء الصحابة بتعليم أولادهم العلم وغرسه فيهم وتربيتهم عليه، وحثهم على أن يورثوه أبناءهم فيأخذ اللاحق عن السابق من أهل البيت الواحد، فأين نحن من هذا الحرص على ميراث النبوة والعناية به، والأخذ بحظ وافر منه؟

وقوله ﷺ: «تعاهدوا القرآن» فيه الأمر بتعاهد القرآن ومداومة استذكاره، وقد سبق هذا المعنى في حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وقد جاء في هذا الحديث: «فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيًا من الإبل». وهذا قَسَمٌ من النبي ﷺ على هذا الأمر، ونلاحظ تأكيد الكلام بالقسم ولام الابتداء واسمية الجملة، كل ذلك من مؤكدات الكلام دليل على الاهتمام بالأمر وعدم التهاون به.

وقوله ﷺ: «في عُقُلها» بضم العين والقاف، ويجوز سكون القاف جمع عِقال بكسر العين وهو الحبل، قال القرطبي: والحاصل تشبيه من يتفلت منه القرآن بالناقة التي تفلتت من عقالها وبقيت متعلقة به. قال ابن حجر عقب هذا: كذا قال، والتحرير أن التشبيه وقع بين ثلاثة بثلاثة: فحامل القرآن شبه بصاحب الناقة، والقرآن بالناقة، والحفظ بالربط.

ومن فوائد هذه الأحاديث: كراهة قول القائل: نسيت آية كذا. قال النووي: وهي كراهة تنزيه.

ومنها: ضرب الأمثال لإيضاح المقاصد، ومنها جواز القسم عند الخبر المقطوع بصدقه مبالغة في تثبيته في صدور سامعيه، ومنها جواز القياس ومشروعيته بأن يقاس النظير على نظيره.

هجمة الأعداء على كتاب الله

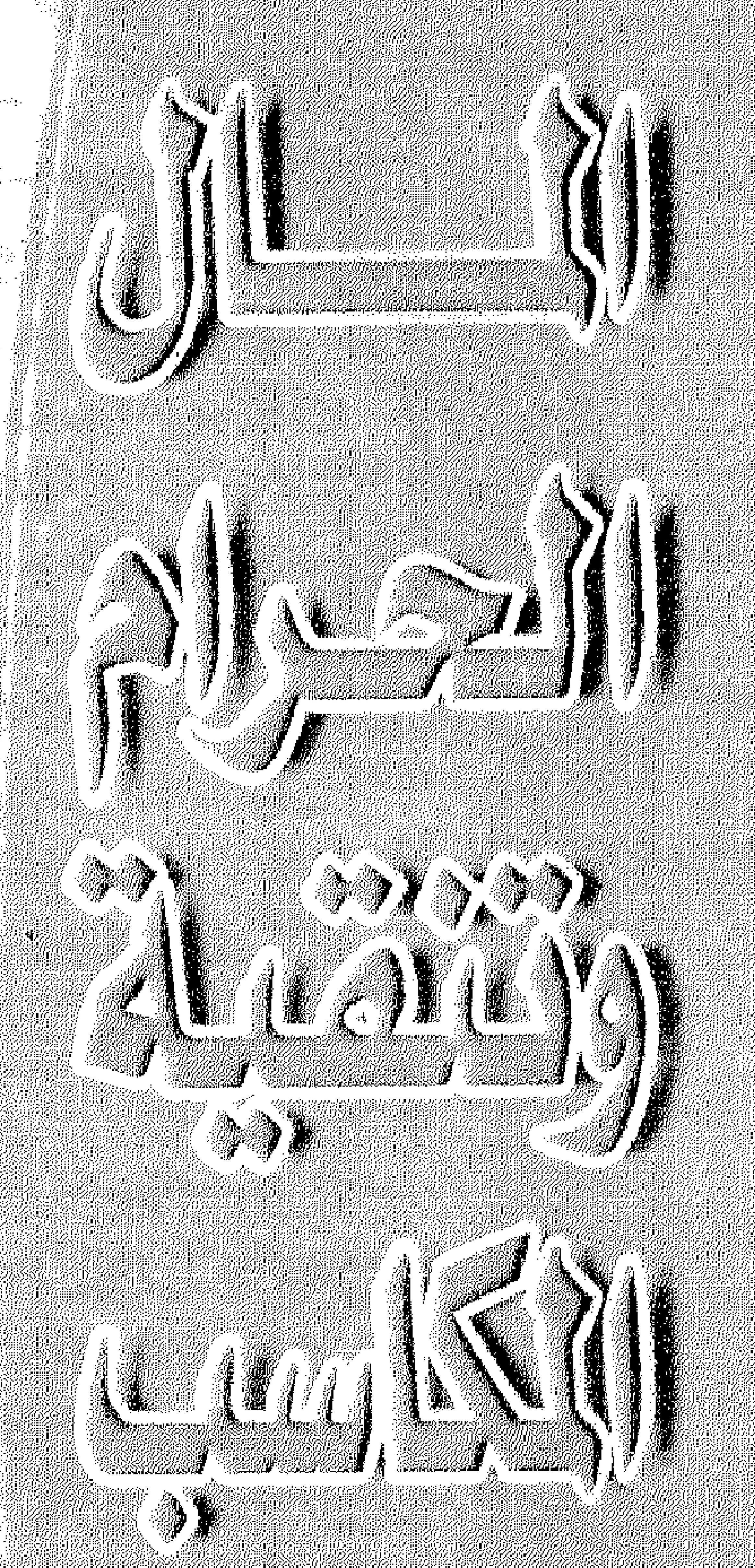
ومنها التحذير من هجر القرآن الكريم فإنه يؤدي إلى الجهل به، فإذا جهله المسلمون ساغ لأعدائهم أن يطعنوهم في كتاب ربهم الذي هو مصدر دينهم وأصل التلقي عن خالقهم، وقد اشتدت هجمة أعداء الله تعالى وأعداء دينه (الإسلام) على المسلمين؛ فمحاولات التشكيك وصلت إلى القرآن الكريم (في مواقع الشبكة العالمية) زاعمين أن القرآن فيه أخطاء لغوية، أو تناقض آياته بعضها بعضًا، والمسلمون لم يؤتوا إلا من قبل جهلهم بدينهم وخاصة جهلهم بالقرآن الكريم، وأما الأعداء فسيبوءون بالخسران المبين، إذ أن قريشًا في عداوتها للإسلام التي لا تعدلها عداوة، وفصاحتها اللغوية التي لا تعدلها فصاحة بشرية على مر التاريخ، وكانت تتمنى لو وجدت مغمزًا أو نقصًا أو تناقضًا تنقض به دين محمد ﷺ وكتاب محمد ﷺ لكنها عجزت وأظهرت صغارها أمام الكتاب المعجز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بل هو تنزيل من حكيم حميد، أقول: قريش عجزت عن ذلك ولم تستطعه، فهل يليق بأعجمي فضلاً عن عربي أن يصل إلى ما عجزت عنه قريش في هذا الشأن، إن هذا لشأو بعيد المنال.

ومع ذلك فالواجب على الأمة أن يحفظ أفرادها كتاب الله تعالى صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم، حتى لا يكونوا فريسة للأعداء.

نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن العاملين به في الدنيا، القائمين به، وأن يوفقنا لأن نتلوه حق تلاوته، وأن نكون ممن اصطفاهم الله تعالى فاورثهم كتابه نحيا عليه ونموت عليه ونبعث عليه فيكون شفيعًا لنا يسوقنا إلى الجنة.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

باب: منبر الحرمين



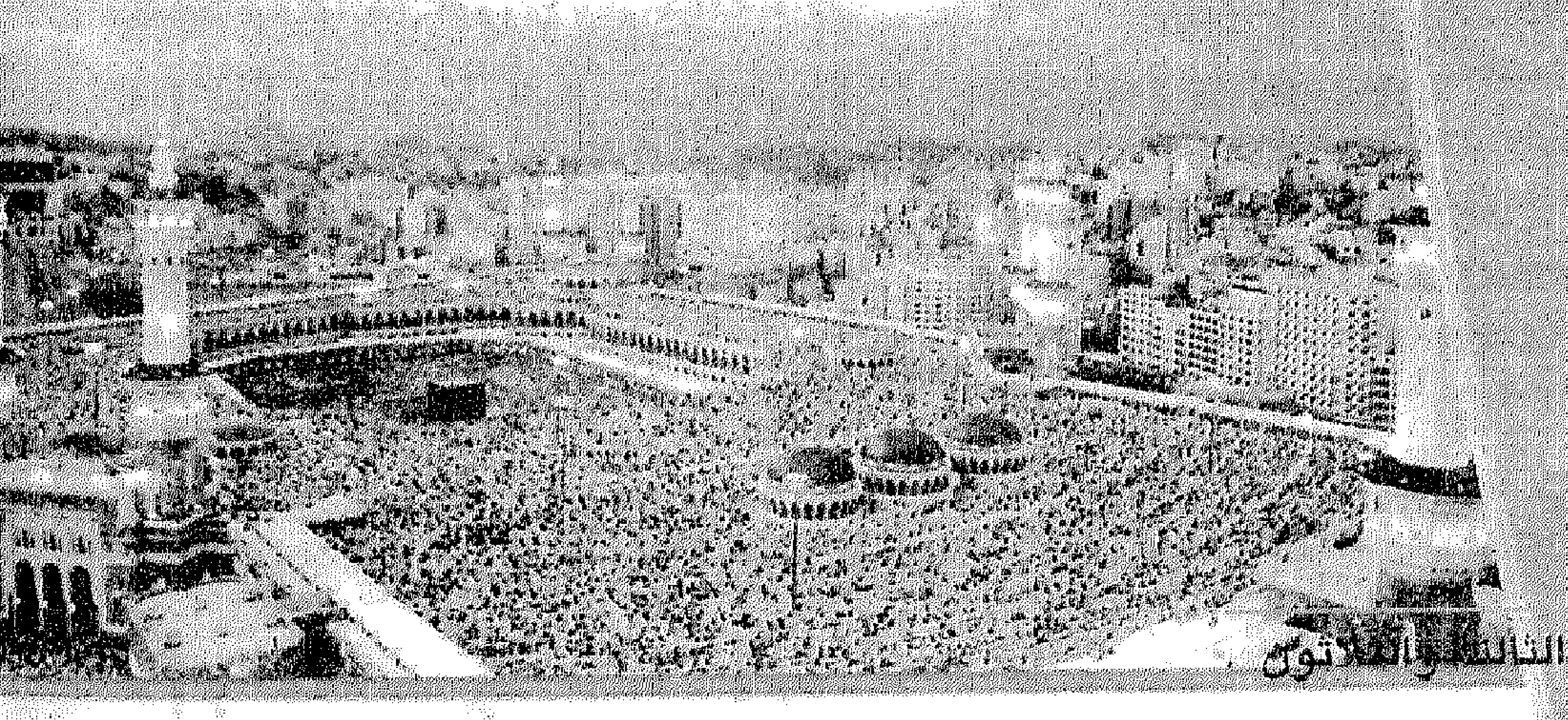
لفضيلة الشيخ/ حسين آل الشيخ

إمام المسجد النبوي

الحمدُ لله على إحسانِه، والشكر له على توفيقِه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أنّ سيّدنا ونبيّنا محمّدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهمّ صلِّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه.

معاشرَ المسلمِين، إنّ عالمَ اليوم عالمٌ تغيّرت فيه كثيرٌ من القِيَم الصّحيحة وتبدّلت فيه المفاهيمُ المستقيمة، عالمٌ تكالب فيه البشَر على التنافُس في جلبِ المصالح واستِحصالِ المنافع. الدّنيا هي المُنية وتحصيلُها هو الغاية، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنْ الْعِلْمِ﴾ [النجم:٢٩، ٣٠].

والغريبُ أنّ بعضًا من المسلمين استهوته تلك الموجةُ العاصفة فزلّت به القدمُ ومالَت به النفسُ الأمّارة بالسّوء، فراح يجمع الدّنيا بكلِّ طريق ويستكثِر منها بأيِّ سبيل، حتى صدَق على بعضٍ وليس بالقليلِ إخبارُ المصطفى بقولِه: «ليأتينّ على الناس زمانٌ لا يُبالي المرءُ بما أخَذَ المالَ أمِن الحلال أم منَ الحرام» رواه البخاري، ولذا حرَص الإسلامُ على التوجيهِ الصريح والإرشادِ الجليّ حتى يكونَ المسلم حريصًا أشدَّ الحرص على تنقية مكاسبِه من كلِّ كسبٍ خبيثٍ أو مالٍ محرَّم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا



أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ [النساء:٢٩] ولا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ [البقرة:١٨٨]، ورسولُنا يقول: «مَن أكل طيبًا وعمل في سنةٍ وأمن الناسُ بوائقَه دخل الجنّة» صحّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

معاشرَ المسلمين، المكاسبُ المحرَّمة ذاتُ عواقبَ وخيمةٍ وآثارٍ سيئة، أخطرُها وأشدّها أنها سببٌ من أسباب دخول النار ومن أسبابِ غضَب الجبّار، فرسولنا يقول لكعبِ بنِ عُجرة رضي الله عنه: «يا كعبُ، إنّه لن يربوَ لحمٌ نبت من سُحتٍ إلا كانتِ النّار أولى به» حديث صحّحه الحاكم ووافقه الذهبيّ. والسّحتُ - يا عباد الله - مصطلح شرعيّ يشمل كلَّ مال اكتُسِب بالحرام.

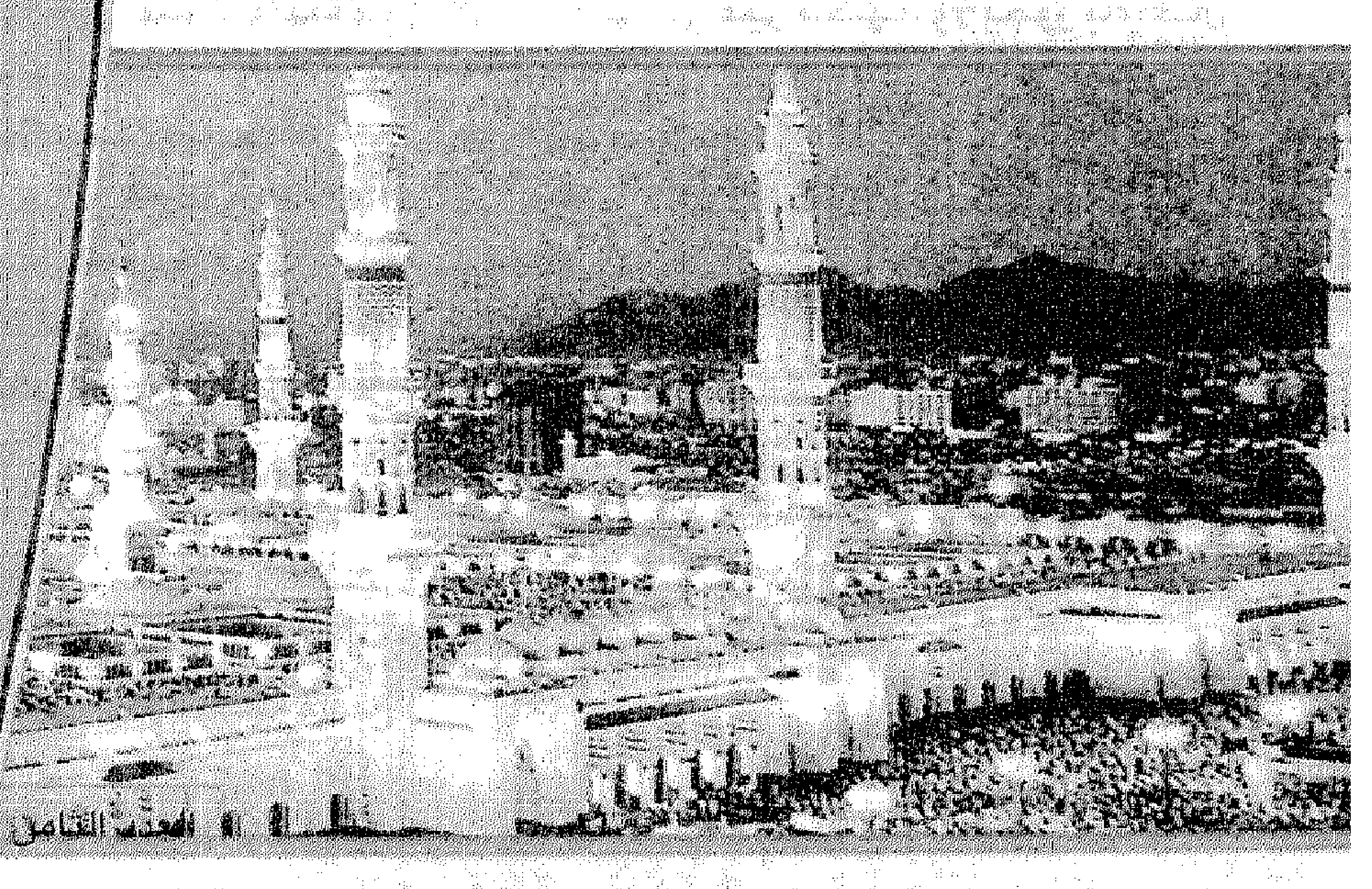
عبادَ الله، إنّ المالَ الحرامَ مِن جميع طرُقه شؤمٌ على صاحبه وضرَر على جامعه، فرسولنا يقول: «لا يكسب عبدٌ مالاً من حَرام فينفق منه فيبارَك له فيه، ولا يتصدّق به فيقبَل منه، ولا يتركُه خلفَ ظهره إلاّ كان زادَه إلى النار» رواه أحمد والبيهقي وسنده حسن! ولهذا فمِن أسبابِ الشقاء الشامل وعواملِ الخذلان المستمرّ على بلدانِ المسلمين جمعُ الأموال من طريقِ المكاسب المحرَّمة والوسائلِ الخبيثة، وإلاَّ فهل مُنِعت الاستجابةُ إلاَّ بسبَبِ المكاسب المحرَّمة؟! وهل وقعتِ المصائب والإحَن إلاَّ بانتشارِ الخبائث والموبقات. روى مسلم في صحيحه أن النبيَّ ﷺ ذكَرَ الرجلَ يطيل السّفرَ «أشعثَ أغبرَ يمدّ يديه إلى السّماء يقول: يا ربِّ يا ربّ، ومطعمُه حرام، وملبسه حرام، وغذيَ بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟!» رواه مسلم!. وفي الحديثِ عند الترمذيّ بإسنادٍ صحيح: «لا تقبَل صلاةٌ بغير طهور، ولا صدقةٌ من غُلُول»! والغلول عندَ أهلِ العلم مصطلحٌ لكلِّ ما اكتُسب من طريقٍ غيرِ شرعيّ عن طريق النّهب والسّلب. قال مالكُ بن دينار: "أصابَ الناسَ في بني إسرائيلَ قحطٌ فخرجوا مِرارًا فلم يسقَوا، فأوحى الله إلى نبيِّهم أن أخبِرهم أنكم تخرجون إليَّ بأبدانٍ نجِسة وترفعون إليَّ أكفًا قد سفكتُم بها الدماءَ وملأتم بطونَكم من الحرام، الآنَ قد اشتدَّ غضبي عليكم، ولن تزدادوا مني إلا بُعدًا.

أيّها المسلمون، أكلُ الحرام منزوعُ البَركة مسلوبُ الاستقرار والطمأنينة، لا يقنَع بخير يأتيه، ولا يعينه كثيرٌ يجنيه، عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله خطيبًا فقال: «لا والله، ما أخشى عليكم - أيّها

حرص الإسلام على أن ينقي المسلم مكاسبه من كل كسب خبيث ومال محرم

أكل الحرام لا بركة فيه ولا استقرار ولا طمأنينة فضلا عن إثم صاحبه وعدم استجابة دعائه

ليحذر المسلم الاعتداء على المال العام والتخوض في أموال المسلمين فإن المتخوضين في مال الله بغير حق لهم النار يوم القيامة



الناس - إلاّ ما يخرج الله لكم من زهرةِ هذه الدنيا» إلى أن قال: «فمن يأخُذ مالاً بحقّه يبارَك له فيه، ومن يأخُذ مالاً بغير حقّه فمثلُه كمَثل الذي يأكُل ولا يشبَع» رواه البخاري ومسلم! وفي الحديثِ الصحيح أيضًا: «فإن كذَبا وكتَما مُحقت بركةُ بيعهما».

فيا أيّها المسلم، إن كنتَ تحبّ نجاتَك وترجو سعادتك فأطِب كسبَك ونقِّ مالَك وتخلّص من حقوق غيرك، فرسول الله يقول: «من كانت عندَه مظلمةٌ لأخيه من مالٍ أو عِرض فليأته فليستَحلِله من قبلِ أن يؤخَذَ منه وليسَ ثَمّ دينارٌ ولا درهم، فإن كانَت له حسناتٌ أخِذَ من حسناتِه لصاحبِه، وإلاّ أخِذ من سيّئات صاحبه فطُرِحت عليه فطرِح في النار» رواه البخاري!

فالحذَر الحذَر من كَسبِ الأموال من غير سُبُلها المباحَة ونيلِها من غيرِ طُرُقها المشروعة، فلقد أتتِ المكاسبُ المحرَّمة على بيوت آكليها فخرّبتها، ودكّت صروحَ عزِّهم ومجدِهم فهدّمتها، فبماذا يكون الجوابُ إذا وقفوا غدًا بين يدي الله جلّ وعلا وسألهم عن هذه الأموال بأيّ وجهٍ أخذوها؟ وبأيّ دينٍ استباحوها؟ فأنت - أيّها المسلم - مسؤول عن مالك: من أينَ اكتَسبتَه؟ وفيم أنفقتَه؟ كما صحّ بذلك الخبر عن المعصومِ صلوات الله وسلامه عليه.

فاجتنِبوا - عباد الله - في جمعكم للأموالِ المسالكَ المعوجّة والطرقَ الملتوية والمخالفةَ للأحكام القرآنيّة والتوجيهاتِ النبويّة والقواعدِ الشرعية. تبصّروا فيما تقدِمون عليه وما إليه تتّجهون من طرُقٍ للمكاسب بحثًا عن حكمِ الشرع الصحيحِ من مصادره المعتَمَدة وعلمائه الثّقات الربانيّين، فمن اتّقى الله وقاه الله ورزَقه من حيث لا يحتسِب ومن حيث لا يخطُر له على بال، ومَن ترك شيئًا لله عوّضه الله خيرًا منه.

اللهمّ أغننا بحلالك عن حَرامك، وبفضلك عمّن سواك.

معاشرَ المسلمين، مِن أعظم الخيانةِ وأقبحِ الأعمال أن يشرِّقك الله - أيّها المسلم - بحَملِ أمانةِ عملٍ من أعمالِ المسلمين، ثم تتّخِذ من ذلك العمَل مطيّةً لجمع الأموالِ ونيلِ المصالح الخاصّة بالنّهب والسّلب والتحايُل على ما ليس بحقّ.

فيا أيّها المسلم، اعلم علمًا جازمًا أنّ أيَّ وظيفة من الوظائف كبيرة أو صغيرة فهي أمانةٌ عظيمة ومسؤوليّة كبرى لا يجوز بأيِّ حالٍ منَ الأحوال أن تجمَعَ الأموالَ بسببِها أو أن تُكتَسَب بواسطتِها، فالحذرَ الحذرَ من ذلك، فلقد أرسَى رسول الله وهو صاحبُ الإصلاح الشامِل، لقد أرسى قاعدةً لا تقبل تأويلَ المتأوّلين ولا تعسُّفَ المتعسِّفين قاعدةً تتضمّن تحريمَ كسبِ الأموالِ عن طريق الوظائفِ والأعمال التي للمسلمين، فلقَد استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزدِ على الصّدقة، فلمّا قدِم قال: هذا لكُم وهذا أُهديَ إليّ، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمِد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «ما بالُ عاملٍ أبعثُه فيقول: هذا لكم وهذا أهدِيَ إليّ؟! أفَلا قعَدَ في بيتِ أبيه أو بيتِ أمّه حتى ينظرَ أيُهدَى إليه أم لا؟! والذي نفس محمّدٍ بيَدِه، لا ينالُ أحدٌ منكم فيها شيئًا - أي: في الأعمال - إلاّ جاءَ بهِ يومَ القيامَة يحمِلُه على عُنُقه» الحديث رواه البخاري ومسلم! وقد بوّب له البخاريّ بقوله: "هدايا العُمّال غُلول"، قال ابنُ حجر رحمه الله: "وفيه إبطالُ كلِّ طريقٍ يَتوصَّل بها مَن يأخُذ المال إلى محاباةِ المأخوذِ منه والانفرادِ بالمأخوذ"!

واعلَم - أيّها المسلم في كلِّ مكان - أنّ المالَ العامّ في ديار المسلمين من أراضٍ وعقاراتٍ وأموالٍ ومنقولات كلّها الأصلُ فيها العِصمةُ، لا يجوز الانتفاعُ بها في غير محلِّها، ولا يجوز بأيِّ حالٍ الاعتداءُ على شيءٍ منها إلا بطريقٍ شرعيّ معتَبَر عند أهل العلم. فاستمع - أيّها المتهاون بذلك - إلى تحذيرِ الشّرع وزَجرِه وردعه، يقول: «إنّ رجالاً يتخوّضون في أموالِ الله بغير حقٍّ فلهم النارُ يومَ القيامة» رواه البخاري! والمعنى أي: يتصرّفون في أموالِ المسلمين بالباطل، وجاء عند الترمذي وقال: "حديث حسن صحيح" أنّ النبيَّ ﷺ قال: «إنّ هذا المالَ خضِرة حلوَة، مَن أصابَه بحقِّه بورِك له فيه، ورُبّ متخوِّضٍ فيما شاءت نفسُه من مال الله ورسولِه ليس له يومَ القيامة إلاّ النار» والعياذ بالله.

والله من وراء القصد



دعاء ليلة النصف من شعبان

بقلم فضيلة الشيخ
أبي الوفاء محمد درويش

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين ، وبعد :

هل من السنة أن يجتمع المسلمون في المساجد بعد صلاة المغرب في ليلة النصف من شعبان ليقرءوا دعاء خاصًا يلقيه عليهم الأئمة؟ وهل هذا الدعاء الخاص وارد في السنة ؟

إن هذا الاجتماع لم يكن على عهد رسول الله ﷺ ولا على عهد خلفائه الراشدين ولا على عهد السلف الصالح ، وإنما هو من البدع ومحدثات الأمور التي حذرنا رسول الله ﷺ إياها .

فقد صح أن رسول الله ﷺ قال : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة».

وقد جاء في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال : «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد».

ولا شك أن أمر رسول الله ﷺ وصحابته وخلفائه لم يكن على هذا ولم يكونوا يجتمعون في هذا الوقت من هذه الليلة لقراءة هذا الدعاء ولا غيره، ولم يأت بذلك حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف ، ولا رواه أحد من رواة الحديث ، ولا جاء في كتاب من كتب السنة .

فما حرص المسلمين على عمل مردود عليهم لا يقبله الله ولا يثيب فاعليه؟ وما ثمرة عبادة يعلم صاحبها أنها لا تفتح لها أبواب السماء ، ولا تنال حظًا من القبول؛ لأنها ليست مما كان عليه أمر الرسول ﷺ وكل ما لم يكن عليه أمره من العبادات فهو مردود لا يظفر بشرف القبول .

هذا الاجتماع وما فيه بدعة ابتدعها المسرفون وأذاعوها ، وطوَّع الجهل للناس قبولها ، ففشت فيهم كما يفشو الوباء، وحتى صاروا يعتقدون أن هذا الدعاء يطيل العمر ، ويوسع الرزق؛ ويكشف البلاء ، وحتى صار من لم يتمكن من قراءته متشائمًا يتوقع حلول الأرزاء والنكبات في كل حين ، وقد بلغ من حرص الناس عليه أن تاركي الصلاة الذين لم تخط أقدامهم أعتاب المساجد يؤمونها في هذه الليلة لا للصلاة ولكن للدعاء.

وما هذه الليلة إلا كسائر ليالي العام لا تمتاز منها بشيء ، والأحاديث الواردة في شأنها ليس فيها شيء يرتقي إلى درجة الحسن فضلاً عن الصحيح ، بل كلها إما ضعيف واهٍ، وإما موضوع كما قرره أئمة هذا الشأن .

قال الحافظ أبو بكر بن العربي : «ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يساوي سماعه».

وأما الدعاء الذي يدعون به فلم يرد عن رسول الله ﷺ ولا عن صاحب ولا أحد من أهل العلم يعرف ، وفيه أكاذيب تحمل المؤمن على أن يربأ بنفسه عن أن يدعو به؛ وإليك البيان :

من عبارات هذا الدعاء قولهم: «في ليلة النصف من شهر شعبان المكرم التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم»، وهذا معنى باطل ، لأنهم يقصدون : «ينقض فيها كل أمر حكيم ويبرم»، والأمر الحكيم لا ينقض .

ولا شك أن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة القدر، لا ليلة النصف من شعبان، والمعنى: يفرق بينه وبين الأمر الباطل بالعلم والقرآن الذي هو الفرقان، فمن أسند هذا الفضل إلى هذه الليلة فقد افترى على الله الكذب، وكفى به إثمًا مبينًا.

وليلة القدر في رمضان يقينًا وليست في شعبان.

برهان ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾.

فإذا ألّفت بين هذه النصوص علمت علم اليقين أن القرآن أنزل في ليلة مباركة فيها يفرق كل أمر حكيم.

وأنه أنزل في ليلة القدر.

وأنه أنزل في شهر رمضان.

وإذًا تكون الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة القدر.

وإذًا تكون هذه الليلة في شهر رمضان وإحدى لياليه.

وإذًا يبطل الدعاء بأن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة النصف من شهر شعبان.

وإذًا يثبت كذب من يدعي ذلك.

ولا ينبغي لعبد مؤمن أن يوجه إلى الله دعاء مكذوبًا فإنه إثم، والله لا يقبل الدعاء بإثم ولا عدوان.

هذا وللدعاء آداب تنبغي مراعاتها:

منها: أن يكون بذلة وضراعة وانكسار، ومنها: أن يكون خُفية بين العبد وربه، قال تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾، وقد فسر العدوان برفع الصوت بالدعاء، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا وإنما تدعون سميعًا بصيرًا وهو معكم أينما كنتم».

فأين مراعاة هذه الآداب في هذا الدعاء؟

وقد بيّن لنا رسول الله ﷺ أحوالاً وأوقاتًا يكون فيها الدعاء أقرب إلى الإجابة فلنتحرّها، ولنكثر من الدعاء فيها فذلك قَمِنٌ أن يحقق لنا الإجابة، قال رسول الله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء» رواه مسلم.

وروى الترمذي من حديث أبي أمامة قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الدعاء أسمع؟ قال: (جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات).

والله تعالى يستجيب كل دعوة من العبد المسلم متى كانت خالصة بريئة من الإثم والكذب، فقد روى الترمذي من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم».

وخير الأدعية ما أثر عن رسول الله ﷺ وأنا موردٌ لك ذروًا منها لعلك تدعو به حين تصفو نفسك وتسمو روحك.

فعن أنس قال: «كان أكثر دعاء النبي ﷺ: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار». متفق عليه.

وعن ابن مسعود أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى». رواه مسلم.

وكان عليه الصلاة والسلام يأمر أصحابه أن يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني». وهذا دعاء جامع يجمع الدنيا والآخرة.

ومن أدعيته عليه الصلاة والسلام: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي من كل خير، واجعل الموت أمانًا لي من كل شر».

هذا وفي ذلك الدعاء مآخذ أخرى لا أرى ما يدعو إلى الإفاضة فيها، فحسبي ما قدمت، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مشروع تيسير حفظ السنة

درر البحار من صحيح الأحاديث القصار

ألف حديث كل ثلاث سنوات

إعداد / علي حشيش

٢١١- «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ في هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّار ، لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ سَقَتْهَا إِذْ هِيَ حَبَسَتْهَا ، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِن خَشَاشِ(١) الأَرْضِ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٢١٢- «بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ ، فَنَزَلَ بِئْرًا ، فَشَرِبَ مِنْهَا ، ثُمَّ خَرَجَ ؛ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ(٢) يَأكُلُ الثَّرَى مِن العَطَش ، فقالَ : لَقَد بَلَغَ هذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بي ، فَمَلأَ خُفَّهُ ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ، ثُمَّ رَقِيَ ، فَسَقَى الكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ» . قالُوا : يَا رسولَ اللهِ ، وإِنَّ لَنَا في البَهَائم أجرًا ؟ قالَ : «في كلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجْرٌ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٢١٣- «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ(٣) كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا(٤) فَسَقَتْهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٢١٤- «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأنبياءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رجلٍ بَنَى بيتًا فأحْسَنَهُ وأجْمَلَهُ إلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ الناسُ يَطُوفُونَ بِهِ ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، ويقُولُونَ : هَلاَّ وُضِعَتْ هذهِ اللَّبِنَةُ ، فَأَنَا اللَّبِنَةُ ، وأنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٢١٥- «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أبدًا ، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أقوامٌ أعرفُهُم ويعرفونَنِي ، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وبَيْنَهُم». [متفق عليه من حديث سهل بن سعد]

٢١٦- «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَين أَيْلَةَ(٥) وَصَنْعَاءَ مِن اليَمَنِ ، وإِنَّ فيهِ مِنَ الأَبَارِيقِ ، كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ». [متفق عليه من حديث أنس بن مالك]

٢١٧- «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ . وَلاَ : لِمَ صَنَعْتَ ؟ وَلاَ : أَلاَ صَنَعْتَ!». [متفق عليه من حديث أنس]

٢١٨- «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ في حَلِفِهِ ، واللاَّتِ والعُزَّى ، فَلْيَقُلْ : لا إلهَ إلا اللهُ ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ تَعَالَ أُقَامِرك فَلْيَتَصَدَّقْ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٢١٩- «مَا مَسِسْتُ حَرِيرًا وَلاَ دِيبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلاَ شَمِمْتُ رِيحًا قَطُّ أَوْ عَرْفًا(٦) قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرْفِ النَّبِيِّ ﷺ». [متفق عليه من حديث أنس]

٢٢٠- «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ البَائِنِ وَلا بِالقَصِيرِ». [متفق عليه من حديث البراء]

٢٢١- «رَأَيْتُ النبيَّ ﷺ ، وَرَأَيْتُ بَيَاضًا مِنْ تَحْتِ شَفَتِهِ السُّفْلَى ، العَنْفَقَةَ». [متفق عليه من حديث أبي جحيفة]

٢٢٢- «رأيتُ النَّبِيَّ ﷺ ، وكَانَ الحَسَنُ بنُ عليٍّ ، عليهمَا السَّلاَمُ ، يُشْبِهُهُ». [متفق عليه من حديث أبي جحيفة]

٢٢٣- «أَنَّ زَيْدَ بنَ حَارِثَةَ مَوْلَى رسولِ اللهِ ﷺ ، مَا كُنَّا نَدْعُوهُ إلاَّ زَيْدَ بنَ مُحَمَّدٍ ، حَتَّى نَزَلَ القُرآن : ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾».

٢٢٤- «بَعَثَ النبيُّ ﷺ بَعْثًا ، وأَمَّرَ عليهِم أسامةَ بنَ زيدٍ ، فطَعَنَ بعضُ الناسِ في إمارتِهِ، فقالَ النبيُّ ﷺ : «أنْ تَطْعَنُوا في إمارَتِهِ فقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ في إمارَةِ أبيهِ مِنْ قبلُ ، وَايْمُ اللهِ إن كَانَ لخَلِيقًا للإمَارَةِ ، وإن كَانَ لمِن أَحَبِّ النَّاسِ إليَّ ، وإنَّ هذا لمِن أحَبِّ النَّاسِ إليَّ بَعْدَهُ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٢٢٥- «أَنَّ النبيَّ ﷺ ، دَخَلَ الخَلاءَ ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا ، قَالَ : مَنْ وَضَعَ هذا» فَأُخْبِرَ ، فقالَ : «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ في الدِّينِ». [متفق عليه من حديث ابن عباس]

٢٢٦- «إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البِرِّ ، وإنَّ البِرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا ، وإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا». [متفق عليه من حديث ابن مسعود]

٢٢٧- «إذا قَاتَلَ أحَدُكُمْ ، فَلْيَجْتَنِبِ الوَجْهَ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٢٢٨- «بَيْنَمَا رجلٌ يَمْشِي بطريقٍ ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ ، فَأَخَّرَهُ ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٢٢٩- «المُسْلِمُ أخُو المُسلم ، لا يَظْلِمُه ولا يُسْلِمُهُ ، ومَنْ كَانَ في حَاجَةِ أخيهِ ، كانَ اللهُ في حَاجَتِهِ ، ومَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً ، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا ، سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٢٣٠- «إنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ العِلمُ ، ويَثْبُتَ الجَهْلُ ، ويُشْرَبَ الخَمْرُ ، ويَظْهَرَ الزِّنَى». [متفق عليه من حديث أنس]

٢٣١- «إنَّ بينَ يَدَيِ السَّاعَةِ أيَّامًا ، يُرْفَعُ فِيهَا العِلمُ ، ويَنْزِلُ فِيهَا الجَهْلُ ، ويَكْثُرُ فِيهَا الهَرْجُ ، والهَرْجُ القَتْلُ». [متفق عليه من حديث أبي موسى]

٢٣٢- «إنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنتزِعُهُ مِنَ العِبَادِ ، ولكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ ، حَتَّى إذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا ، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً ، فَسُئِلُوا ، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا». [متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو]

٢٣٣- «لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أحَدُ مِنْكُم المَوتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ ، فَإنْ كَانَ لاَبُدَّ مُتَمَنِّيًا للموتِ ، فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لي ، وَتَوَفَّنِي إذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لي». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٢٣٤- «الخيلُ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٢٣٥- «مَنْ قَالَ عَشْرًا : لا إلهِ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمدُ ، وهُو على كلِّ شيءٍ قَدِيرٌ كَانَ كمنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مِنْ وَلَدِ إسماعيلَ». [متفق عليه من حديث أبي أيوب الأنصاري]

٢٣٦- «سَمِعت رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : لاَ شَيءَ أَغْيرُ مِن اللهِ». [متفق عليه من حديث أسماء]

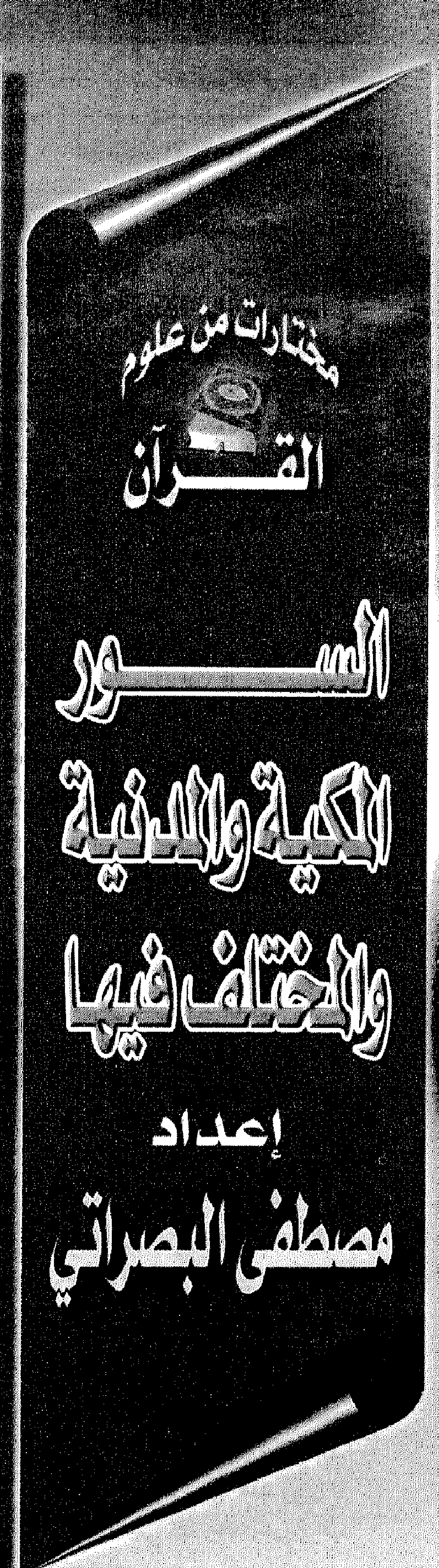
٢٣٧- «إنَّ أحَدَكم إذا مَاتَ ، عُرِضَ عَلَيه مَقْعَدُهُ بالغَدَاةِ والعَشِيِّ ، إنْ كَانَ مِنْ أهلِ الجَنَّةِ ، فَمِن أهلِ الجنَّةِ ، وإن كانَ مِنْ أهلِ النَّارِ ؛ فيُقالُ : هذا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٢٣٨- «إنَّ ابنَ عُمَرَ سَمِعَ رسولَ اللهِ ﷺ وهو مُسْتَقْبِلُ المَشرقَ يقولُ : ألاَ إنَّ الفِتْنَةَ هَهُنا ، مِنْ حَيثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيطانِ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٢٣٩- «سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقولُ : «مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعةُ وَهُمْ أحياءٌ». [متفق عليه من حديث ابن مسعود]

٢٤٠- «عَطَسَ رَجُلانِ عِندَ النبيِّ ﷺ ، فَشَمَّتَ أحَدَهُمَا ، وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ ، فَقِيلَ له ، فقال : «هذا حَمِدَ الله ، وهذا لَمْ يَحْمَدِ اللهَ». [متفق عليه من حديث أنس بن مالك]

هذا ما وفقني الله إلى جمعه، والله وحده من وراء القصد .



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:
سبق أن تحدثنا في العدد الماضي عن السور المكية والمدنية، وبينا أن هناك أنواعا من الصلات تتعلق بسور القرآن الكريم المكي والمدني منها، والحضري والسفري والنهاري والليلي، والصيفي والشتائي، ونكمل إن شاء الله تعالى بعض هذه الصلات والتي منها:

الصلة الرابعة: ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه

فمن أمثلة ما تأخر حكمه عن نزوله:

(١) قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى:١٤-١٥] فقد روى البيهقي وغيره عن ابن عمر أنها نزلت في زكاة الفطر، وقد استشكل ذلك، لأن السورة مكية ولم يكن بمكة عيد مشروع ولا زكاة ولا صوم، وقد أجاب البغوي بأنه يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم وهو جواب حسن.

(٢) قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر:٤٥] فقد نزلت بمكة قطعا ولم يكن شرع الجهاد، وقد استشكل عمر ذلك ثم تبين له أن المراد بالجمع جمع بدر، فقد روى عنه أنه قال حيث نزلت الآية: أي جمع؟ فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت إلى رسول الله ﷺ في آثارهم مصلتا بالسيف يقول ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ فكانت ليوم بدر. أخرجه الطبراني في الأوسط فيكون من الإشارات والنبوءات الغيبية التي أظهرت الأيام صدقها، وكانت من دلائل النبوة.

(٣) قوله تعالى: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ:٤٩] أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود أن المراد بالحق السيف، يعني الجهاد، واستشكل بأن الآية مكية متقدمة على فرض القتال، والجواب أن هذا مما تقدم نزوله على حكمه، ويؤيد تفسير ابن مسعود ما أخرجه الشيخان من حديثه أيضا قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول الكعبة ثلثمائة وستون نصبًا فجعل يطعنها بعود كان في يده ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١] ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾

أقول: والمتبادر من الحق أنه الأمر الثابت، فتفسيره بالجهاد غير قوي، ويكون المراد بالحق الدين الحق، أو كلمة التوحيد.

(٤) قوله تعالى: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام:١٤١] فالمراد بها الزكاة وقوله تعالى في سورة المزمل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [المزمل:٢٠] فهذا مما تأخر حكمه عن نزوله، إذ الزكاة إنما شرعت بالمدينة وهذا على رأي بعض العلماء، وعلى أن السورتين كلتيهما مكيتان، ولكن بعض العلماء يرى أن آية ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ...﴾ الآية مدنية وأنها ناسخة لوجوب قيام الليل في صدر السورة، ويرى فريق من العلماء أن فرض الزكاة كان بمكة أما تفصيل أحكامها وأنصبتها، وبيان مصارفها فكان بالمدينة، وعلى هذا فلا تكون الآيتان من هذا القبيل.

وأما الحكمة في تقدم النزول عن الحكم: فقد أشار إليها ابن الحصار بقوله: «قد ذكر الله الزكاة في السور المكيات كثيرًا تصريحا وتعريضًا بأن الله سينجز وعده لرسوله ويقيم دينه، ويظهره حتى يفرض الصلاة والزكاة وسائر الشرائع ولم تؤخذ الزكاة إلا بالمدينة بلا خلاف» ولعل مراده بالأخذ التنفيذ العملي، فإن ذلك لم يكن إلا بالمدينة قطعًا، أما أصل المشروعية فللعلماء فيها خلاف كما ذُكر، وأيضا ليكون ذلك من أعلام صدقه، ودلائل نبوته ﷺ.

ومن أمثلة ما تأخر نزوله عن حكمه:

(١) آية الوضوء، ففي صحيح البخاري عن عائشة قالت: سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة، فأناخ رسول الله ﷺ ونزل فثنى رأسه في حجري راقدا، وأقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة، وقال: حبست الناس في قلادة، ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد. فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦] فالآية مدنية إجماعا، وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة قال ابن عبد البر: معلوم عند جميع أهل المغازي أنه ﷺ لم يصلِّ منذ فرضت عليه الصلاة إلا بوضوء، ولا يدفع ذلك إلا جاهل أو معاند، قال: والحكمة في نزول آية الوضوء مع تقدم العمل به ليكون فرضه متلوا بالتنزيل، وجوز غيره أن يكون أول الآية نزل مقدما مع فرض الوضوء، ثم نزل بقيتها، وهو ذكر التيمم في هذه القصة، ويرد هذا الاحتمال أن الآية مدنية بالإجماع.

(٢) آية الجمعة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة:٩] فإنها مدنية، والجمعة فرضت بمكة، وأما ما قاله ابن الغرس: إن إقامة الجمعة لم تكن بمكة قط فيرده ما ورد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال: كنت قائد أبي حين ذهب بصره، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الآذان يستغفر لأبي أمامة أسعد بن زرارة فقلت: يا أبتاه أرأيت صلاتك على أسعد بن زرارة كلما سمعت النداء بالجمعة لم هذا؟ قال: أي بني كان أول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم رسول الله ﷺ من مكة، أقول: وهذا إنما يصلح للرد إن أراد ابن الغرس بقوله هنا إنها لم تفرض قبل الهجرة، أما إن أراد أنها لم تؤد بجماعة بمكة فلا يصلح ردًا عليه.

الصلة الخامسة: ما حمل من مكة إلى المدينة

فمن أمثلة ذلك سورة سبح، فقد أخرج البخاري عن البراء بن عازب أنه قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرآننا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله ﷺ قد جاء، فما جاء حتى قرأت ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ في سور مثلها من المفصل.

ما حمل من المدينة إلى مكة

من ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٧] وهذا إنما يتجه على أن السائل هم المشركون، فقد روى أن وفدا منهم قدموا على النبي ﷺ بعد سرية عبد

الله بن جحش وقتلهم ابن الحضرمي من المشركين، وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة، وأرجف المشركون، وقالوا: إنهم قتلوه في الشهر الحرام أي رجب، فأنزل الله الآية دفاعًا عن السرية، واعتذارا عما بدر منها، وأنه شيء قليل بجانب ما يصدر عن المشركين من إجرام في حق الله ودينه وبيته والمسلمين فيكون الوفد لما قرئت عليه حملها معه، أو أرسل النبي ﷺ من حملها إليهم في مكة.

ومن ذلك صدر سورة براءة، فقد أرسل النبي ﷺ به عليا ليقرأه على الناس في الموسم سنة تسع، كما في الصحيح، ومن ذلك آية الربا في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٧٨] فقد اختلف بنو عمرو بن عمير من ثقيف مع بني المغيرة بن عبد الله، ورفعوا الأمر إلى أمير مكة عتاب بن أسيد فرفع الأمر إلى رسول الله فنزلت فأرسل بها النبي إلى عتاب بن أسيد.

ما حمل من مكة إلى الحبشة

كسورة مريم فقد صح أن جعفر بن أبي طالب قرأها على النجاشي لما ذهب رسولا قريش كي يرد المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة إلى مكة، فأبى حتى يسمع كلامهم، فتكلم ابن أبي طالب فأحسن وأجاد، فقال له النجاشي: هل معك من شيء مما جاء به عن الله تقرؤه عليَّ؟ فقال جعفر: نعم، وقرأ عليه سورة مريم، فلما سمع النجاشيُّ السورة قال: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاةٍ واحدةٍ، وقال البطارقة: هذه كلمات تصدرُ من النبع الذي صدرت منه كلماتُ سيدنا يسوع المسيح.

ما حمل من المدينة إلى الروم

ومثاله قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤] فقد صح أن رسول الله ﷺ كتبها في الكتاب الذي بعث به إلى هرقل عظيم الروم والمقوقس عظيم مصر.

الصلة السادسة: ما نزل مفرقا وما نزل جمعا

أما الأول فأمثلته كثيرة لا يحصيها العدُّ، لأن غالب القرآن نزل كذلك فمن ذلك في السور القصار سورة (اقرأ)، فقد نزل صدرها إلى (ما لم يعلم) و(المدثر) نزل صدرها إلى (والرجز فاهجر) و(الضحى) نزل صدرها إلى (فترضى) ثم نزلت أواخرها بعد هذا، وفي السور الطوال صدر سورة (براءة) وصدر سورة (آل عمران) إلى بضع وثمانين آية، بسبب وفد نجران لما قدموا على النبي ﷺ.

ومثال الثاني: في السور القصار (الفاتحة)، (والإخلاص)، (والكوثر)، (وتبت) (ولم يكن)، (والنصر) (والمعوذتان) وفي السور الطوال من المفصل (المرسلات) (وسورة الصف)، ومما ذكروه من السور الطوال (سورة الأنعام) فقد أخرج أبو عبيد والطبراني عن ابن عباس قال: نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جملة حولها سبعون ألف ملك وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «نزلت سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك» وهذا الذي ذكروه غير مسلم، فإن سورة الأنعام، وإن كانت مكية إلا أن منها آيات مدنية قطعا مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام:٩١] إلى ثلاث آيات فقد نزلت بسبب مالك بن الصيف أحد أحبار اليهود، كما يدل على ذلك سبب النزول، واستثنى بعض العلماء غير هذه الآيات الثلاث، وأما الآثار التي ذكروها فلم تثبت، قال ابن الصلاح في فتاويه: الحديث الوارد في أنها نزلت جملة واحدة رويناه من طريق أبي بن كعب، وفي إسناده ضعف ولم نر له إسنادًا صحيحًا، أما نزولها مشيعة فأمر محتمل إذا ثبتت به الرواية، ويكون التشييع يجلِّها وما نزل منها لا لجميعها كما ذكروا، أو نقول: إن المراد بنزولها يشيعها سبعون ألف ملك نزولها من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في بيت العزة، ويكون نزولها مفرقة على النبي ﷺ فيما بعد ذلك.

واجب المكلف نحو

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فقد بينت في الحلقة السابقة بالأدلة الواضحة أن أول الواجبات على العباد توحيد الله وعبادته وحده دون سواه، عكس ما ذهب إليه علماء الكلام ، ووصلاً للحديث حول هذا الموضوع أقول: إن الله قد أخذ العهد والميثاق على جميع بني آدم وهم في ظهره على هذا التوحيد، وقد اعترفوا بذلك وأقروا به كما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان- يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلا قال : ألست بربكم ؟ قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون».

[أخرجه أحمد في المسند ج١/٧٢، والحاكم في المستدرك ج٢/٥٤٤ وغيرهما]

وقد تلقى إخراج الذرية من ظهر آدم وإشهادهم على أنفسهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين دون اختلاف بينهم، منهم عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن مسعود، وناس من الصحابة.

[السلسلة الصحيحة: ج٤/١٥٩]،

وذكر ابن القيم عن ابن الأنباري أنه قال : «مذهب أهل الحديث وكبراء أهل العلم في هذه الآية أن الله أخرج ذرية آدم من صلبه وصلب أولاده وهم في صور الذر ، فأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم وأنهم مصنوعون فاعترفوا بذلك وقبلوا...»، كما نقل عن إسحاق بن راهويه قوله: «وأجمع أهل العلم أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد، وأنه استنطقهم وأشهدهم». [الروح لابن القيم: ص١٦٣]

وقال الشوكاني رحمه الله في الآية: «والمعنى أن الله سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته وأخذ عليهم العهد ، وهؤلاء هم عالم الذر، وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ولا المصير إلى غيره لثبوته مرفوعًا إلى النبي ﷺ موقوفًا على غيره من الصحابة ، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل». [فتح القدير ج٢/٢٦٣]. ومعنى: «كلمهم قبلا» الواردة في الحديث السابق ؛ أي : عيانًا ومقابلة ، لا من وراء حجاب ، ومن غير أن يُولّي أمره أو كلامه أحدًا من ملائكته [النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٤/٨]. والفطرة الإنسانية شاهدة باحتياج الإنسان إلى مدبر، يُسْتغنى به ولا يُستغنى عنه ، ويُتوجه إليه ولا يُعْرَض عنه، ويُفْزَع إليه في الشدائد ، وعلى هذا النهج كانت تعريفات الحق سبحانه كقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢]، وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كلُّ مالٍ نحلته عبدًا حلالٌ ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرَّمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن لا يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا». قال النووي رحمه الله: «وإني خلقت عبادي حنفاء» أي : مسلمين، وقيل : طاهرين من

توحيد الله وعبادته

بقلم
د. عبد الله شاكر الجنيدي
نائب الرئيس العام

المعاصي ، وقيل مستقيمن منبين لقبول الهداية، وقيل: المراد حين أخذ عليهم العهد في عالم الذر وقال ألست بربكم قالوا بلى». [شرح النووي على مسلم ج١٩٧/١٧]، ويؤكد هذا ويدل عليه أن خلق عباده على الفطرة كما في حديث الصحيحين من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...» [أخرجه البخاري في مواطن منها كتاب الجنائز باب ٧٩، وباب ٩٢، ومسلم في كتاب القدر وغيرها].

والمراد بالفطرة : الإسلام ، وقد جبل الله العباد في عليه في أصل الخلقة .

قال ابن حجر رحمه الله : «وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام».

قال ابن عبد البر : وهو المعروف عند عامة السلف ، وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى : ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الإسلام». [فتح الباري: ج٢٤٨/٣].

ولهذا لم يسجل لنا القرآن الكريم ولا التاريخ بصورة عامة نبأ كائن أنكر وجود الله لتمكن فطر العباد من هذا الأمر ، حتى العقائد الوثنية التي قالت بإلهين جعلت التقديس والتعظيم لإله واحد ، كما فعل المجوس الذين قالوا بالأصلين ، حيث ذهبوا إلى أن أحدهما أزلي وهو النور والظلمة محدثة. [الملل والنحل للشهرستاني على هامش الفصل ج٧٢/٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «... بل جمهور العقلاء مطمئنون إلى الإقرار بالله تعالى، وهم مفطورون على ذلك ، بل إقرار القلوب به قد لا يحتاج إلى وسط وطريق ، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات ، وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع فرعون ، وقد كان مستيقنًا في الباطن كما قال موسى : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾، وقال تعالى عنه وعن قومه : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [درء تعارض العقل والنقل ج٣٧/٨، ٣٣٨]، وقال شارح الطحاوية : «وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم ، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات ، كما قالت الرسل - عليهم السلام - فيما حكى الله عنهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [شرح الطحاوية ج٢٦/١، ٢٧] »، ولهذا لم تكن رسالة الرسل في دعوة الناس إلى الإيمان بوجود الله وربوبيته، إذ كان هذا مستقرًا في القلوب والفطر، وإنما كانت دعوتهم إلى توحيد الله في إلهيته دون سواه ،

لم تكن رسالة الرسل في دعوة الناس إلى الإيمان بوجود الله وربوبيته، إذ كان هذا مستقرا في القلوب والفطر، وإنما كانت دعوتهم إلى توحيد الله في إلهيته دون سواه

وعدم الإشراك به في أي لون من ألوان العبادة، قال الله تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وقال عن دعوة الرسل عليهم السلام: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ولم يقل: لا رب سواي، لأن هذا معروف في فطر العباد، ولكنه قال: «لا إله إلا أنا» لتقرير توحيد الإلهية، ولهذا أمر بعدها مباشرة بالعبادة، فقال: «فاعبدون»، وهذه هي الغاية من بعثة جميع الأنبياء والمرسلين بنص التنزيل، وهو واضح بحمد الله لا يحتاج إلى شك فيه أو نظر، أو تكلف استدلال، ولقد قبل النبي ﷺ إيمان من آمن بدين الإسلام بدون المقدمات التي ابتدعها علماء الكلام، وحكم لهم بحكم الإسلام، وفيهم الراعي والراعية والغلام، وجرى على هذا المنوال الصحابة الكرام - عليهم من الله الرضوان - ولإمام العقل والنقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلام جيد ومفيد في هذا الموضوع يقول فيه: «والنبي ﷺ لم يَدْعُ أحدًا من الخلق إلى النظر ابتداءً، ولا إلى مجرد إثبات الصانع، بل أول ما دعاهم إليه الشهادتان وبذلك أمر أصحابه، وهذا ما اتفق عليه أئمة الدين وعلماء المسلمين، فإنهم مجمعون على ما عُلم بالاضطرار من دين الإسلام أن كل كافر فإنه يدعى إلى الشهادتين سواء كان معطلاً، أو مشركًا، أو كتابيًا، وبذلك يصير الكافر مسلمًا، ولا يصير مسلمًا بدون ذلك، قال أبو بكر بن المنذر: أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم على أن الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأن كل ما جاء به محمد حق، وأبرأ إلى الله من كل دين يخالف دين الإسلام- وهو بالغ صحيح يعقل - أنه مسلم، فإن رجع بعد ذلك فأظهر الكفر كان مرتدًا، يجب عليه ما يجب على المرتد». [درء تعارض العقل والنقل ج٨/٦، ٧].

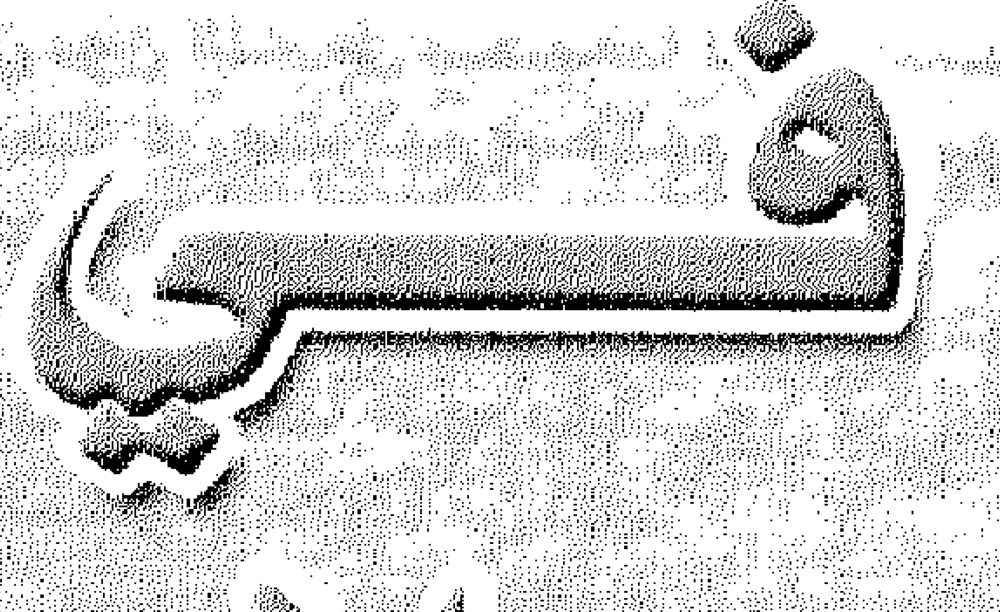
وقال ابن حجر رحمه الله: «وفي حديث أسامة بن زيد في قصة قتله الذي قال: «لا إله إلا الله» فأنكر عليه النبي ﷺ وحديث المقداد في معناه [حديث المقداد أخرجه البخاري في كتاب الديات وفيه أنه قال: يا رسول الله، إن لقيت كافرًا فاقتتلنا فضرب يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ بشجرة، وقال: أسلمت لله، أقتله بعد أن قالها؟ قال رسول الله ﷺ لا تقتله...» [الحديث. انظر البخاري مع الفتح ج١٢/١٨٧].

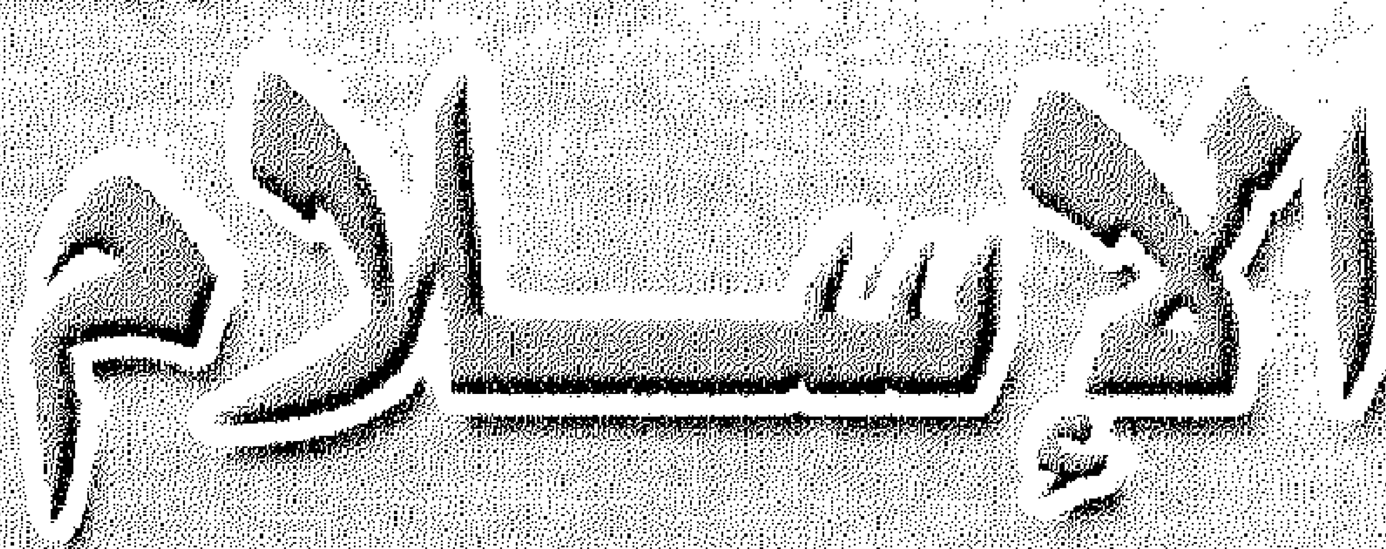
وفي كتب النبي ﷺ إلى هرقل وكسرى وغيرهما من الملوك يدعوهم إلى التوحيد؛ إلى غير ذلك من الأخبار المتواترة التواتر المعنوي الدال على أنه ﷺ لم يزد في دعائه المشركين على أن يؤمنوا بالله وحده ويصدقوه فيما جاء به عنه». [فتح الباري ج١٣/٣٥٣].

وبهذا يظهر لكل متأمل أن الله فطر عباده على التوحيد، وأنه هو أول واجب على العبيد، فعلى العبيد تحقيق ما خلقوا من أجله وهو عبادة الله وحده دون سواه. وفق الله أمة الإسلام لما يحبه ويرضاه.

لقد قبل النبي ﷺ إيمان من آمن بدين الإسلام بدون المقدمات التي ابتدعها علماء الكلام، وحكم لهم بحكم الإسلام، وفيهم الراعي والراعية والغلام، وجرى على هذا المنوال الصحابة الكرام. عليهم من الله الرضوان.





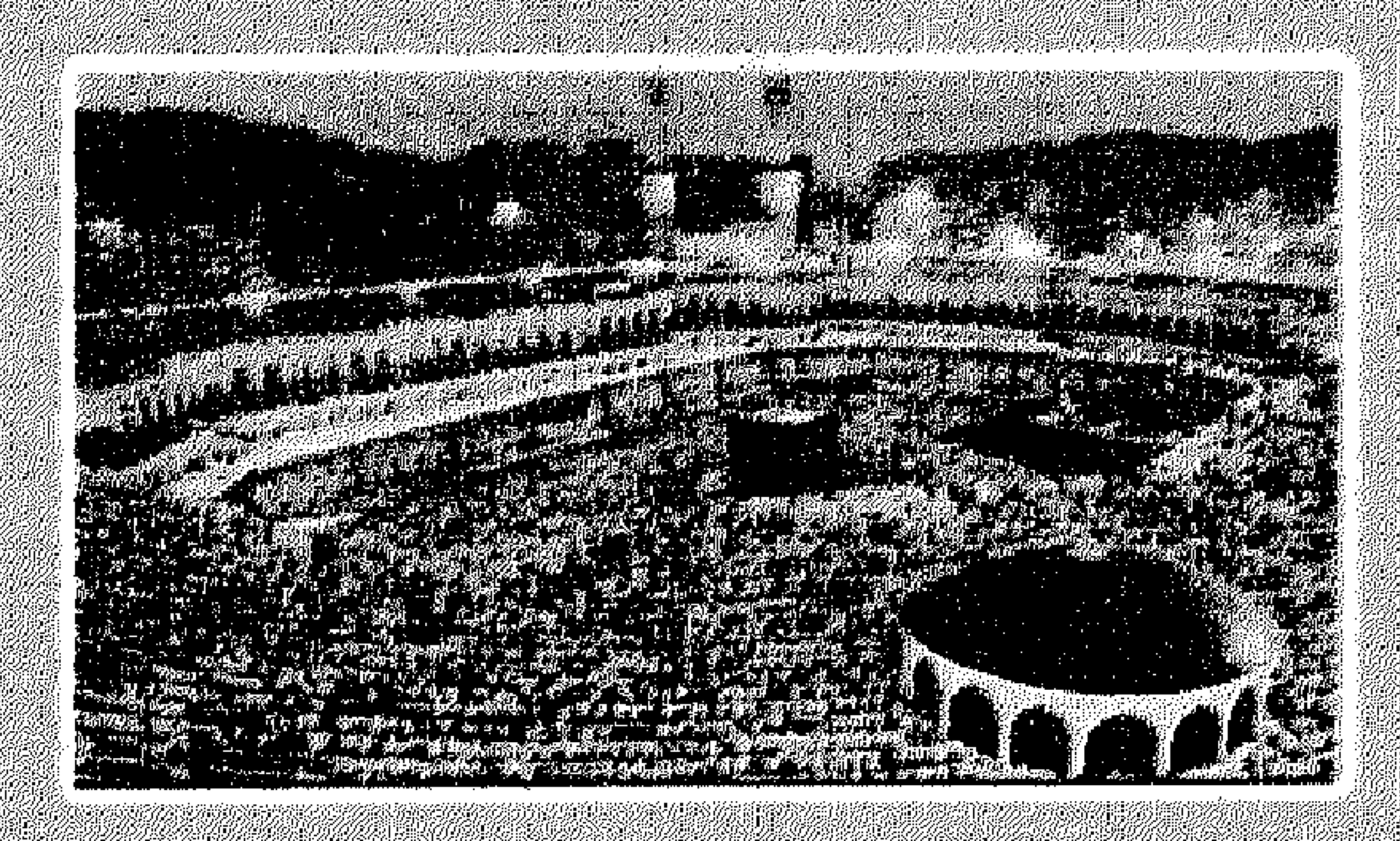


إعداد:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد:

وقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [التوبة: ٤٢] أي: عدولاً أو خيارًا (كما في تفسير العلامة المراغي رحمه الله تعالى).

والوسط في الدين أن لا يغلو الإنسان فيه فيتجاوز ما حد الله عز وجل ولا يقصر فيه فينقص عما حد الله سبحانه وتعالى.



ثانيًا: وسطية الإسلام فيما يتعلق بأمر من أمور العقيدة.

فالمسلمون شهدوا أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه كما في قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥].

فشهد له بأنه رسول، وأكد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم﴾ [الصف: ٦].

فهو رسول كسائر الرسل، وهذا هو القول الوسط لا إفراط ولا تفريط.

قال العلامة ابن جبرين: «الإسلام بين الغلو والجفاء، ومن التحريف الذي حصل في اليهودية على سبيل المثال:

اعتقادهم في عيسى بأنه ولد بغي وأن أمه زانية حيث رموها ببهتان عظيم، كما قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦]، لعنهم الله في الدنيا والآخرة.

ثم جاء النصارى، فزادوا غلوًا ورفعوا عيسى ابن مريم وأعطوه ما لا يستحقه، فقالوا كما حكى الله عنهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

وكذلك كفر من يقول إن الله ثالث ثلاثة يعني الله، وعيسى، وأمه، كما في قوله تعالى: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]. اهـ.

ثالثًا: الأصول التي كان أهل السنة وسطًا فيها بين فرق هذه الأمة:

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: فرق هذه الأمة ثلاث وسبعون فرقة والناجي منها من كان على مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه وكلها في النار إلا الناجية؛ لقوله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة». قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي.

الأول: أسماء الله وصفاته:

أهل السنة وسط فيها بين أهل التعطيل وأهل التشبيه لأن أهل التعطيل ينكرون صفات الله، وأهل التشبيه يثبتونها مع التشبيه، وأهل السنة يثبتونها بلا تشبيه.

الثاني: القضاء والقدر:

فأهل السنة: وسط فيه بين الجبرية والقدرية؛ لأن الجبرية: يثبتون قضاء الله في أفعال العبد، ويقولون: إنه مجبر لا قدرة له ولا اختيار.

والقدرية: ينكرون قضاء الله في أفعال العبد، ويقولون: إن العبد قادر مختار لا يتعلق فعله بقضاء الله.

أهل السنة: يثبتون قضاء الله في أفعال العبد، ويقولون: إن له قدرة واختيارا أودعهما الله فيه متعلقين بقضاء الله.

الثالث: الوعيد والعقاب:

فأهل السنة وسط فيه بين الوعيدية وبين المرجئة، لأن الوعيدية: يقولون: فاعل الكبيرة مخلد في النار.

والمرجئة يقولون: لا يدخل النار ولا يستحق ذلك، وأهل السنة يقولون: مستحق لدخول النار دون الخلود فيها.

الرابع: أسماء الإيمان والدين:

فأهل السنة: وسط فيه بين المرجئة من جهة وبين المعتزلة والحرورية من جهة؛ لأن المرجئة يسمون فاعل الكبيرة مؤمنًا كامل الإيمان، والمعتزلة والحرورية يسمونه غير مؤمن.

لكن المعتزلة يقولون: لا مؤمن ولا كافر في منزلة بين منزلتين، والحرورية يقولون: إنه كافر.

وأهل السنة يقولون: إنه مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته.

الخامس: أصحاب النبي ﷺ. فأهل السنة وسط بين الروافض والخوارج؛ لأن الروافض بالغوا في حب آل النبي ﷺ وغلوا فيهم حتى أنزلوهم فوق منزلتهم.

والخوارج يبغضونهم ويسبونهم.

وأهل السنة: يحبون الصحابة جميعهم وينزلون كل واحد منزلته التي يستحقها من غير غلو ولا تقصير.

قال العلامة ابن جبرين: «الإسلام بين الغلو والجفاء».

توسط أهل السنة في مسالة أولياء الله:

هناك طائفتان متطرفتان في حق الأولياء، طائفة قد غلت، وطائفة قد جفت، فالطائفة الأولى هم الذين غلوا، وهم الذين يعبدون الأولياء، والولي عندهم هو الرجل الصالح الذي قد حصّل من القرب ومن الصلاح في العمل ما سبّب حب الله له، وأنه ولي من أولياء الله، يجري الله على يديه أو لسانه أو لسان غيره، أو على يد غيره كرامة، قالوا: فهذا الولي يستحق منا أن نقدسه فصاروا في حياته يغلون فيه، فيتمسحون به وبثيابه، ويتبركون بما مسّه من ماء، أو غيره، وصاروا بعد موته يعكفون عند قبره، ويتمسحون به، ويصلون عنده، ويعتقدون أن للصلاة عنده مزية، وفي مضاعفة حسناتهم، وهم أيضًا يعملون عند قبره من الأعمال ما لا يصلح أن تكون إلا لله وحده، فهؤلاء قد غلوا وتجاوزوا حدهم وطورهم.

أما الطائفة الثانية: فهم الذين لا يرون لعباد الله الصالحين قدرًا، ولا يقيمون لهم وزنًا، فلا يحبونهم، ولا يقتدون بهم ولا يتبعون سيرتهم، بل يحقرون من شأنهم، ويحتقرونهم في أعمالهم ويدّعون أنهم- كما يقولون- أهل تشدد، وأهل جمود، أو أهل رجعية وتقهقر، أو ما أشبه ذلك من عباراتهم السيئة.

فهؤلاء قد فرطوا، وأولئك قد أفرطوا.

أما أهل السنة: فقد توسطوا في باب أولياء الله من الصالحين والمؤمنين والأتقياء فأحبوهم، ولكن تلك المحبة لا تصل إلى أن نتمسح بترتبهم، ولا تصل كذلك إلى أن نصرف لهم شيئًا من حق الله، كأن نذبح لهم من دون الله، بل محبتنا لهم تستدعي أن نبحث عن سيرتهم وسنتهم فنعمل بها حتى نكون مثلهم.

فإذا رأيناهم يتهجدون بالليل تهجدنا، وإذا ذكر لنا أنهم يكثرون من القراءة والخشوع، أكثرنا من ذلك.

فتحملنا محبتهم أن نعمل مثلهم وأن نصلح من أعمالنا ما أصلحوه؛ سواء كانوا أولياء أو سادة أو صالحين أو ذوي فضل، أو ذوي سبق فكلهم في حق الله سواء.

نحبهم وتحملنا محبتهم على أن نقتدي بهم.

(قلت: ما داموا على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة معتقدًا وقولاً وعملاً ومنهجًا وسلوكًا وإلا ما كانوا أولياء كما هو معلوم).

فإذا كنا كذلك نكون متوسطين بين هؤلاء وهؤلاء، لا إفراط ولا تفريط. اهـ.

لذا فإن العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى قال في فتاويه: الوسط في الدين: أن يتمسك بسيرة النبي ﷺ.

الغلو في الدين: أن يتجاوزها.

والتقصير: أن لا يبلغها.

الوسطية في العبادة

مثال ذلك: رجل قال أنا أريد أن أقوم الليل ولا أنام الدهر لأن الصلاة من أفضل العبادات فأحب أن أحيي الليل كله صلاة.

فنقول هذا: غالي في دين الله، وليس على حق.

وقد وقع في عهد النبي ﷺ مثل هذا كما ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من رسول الله ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبدًا، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي

وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

فهؤلاء غلو في الدين وتبرأ منهم الرسول ﷺ لأنهم رغبوا عن سنته ﷺ التي فيها صوم وإفطار وقيام ونوم وتزوج نساء.

أما المقصر: فهو الذي يقول لا حاجة لي بالتطوع فأنا لا أتطوع وآتي بالفريضة فقط، وربما أيضًا يقصر في الفرائض فهذا مقصر.

والمعتدل: هو الذي يتمشى على ما كان عليه الرسول ﷺ وخلفاؤه الراشدون.

الوسطية في التعامل

مثال: ثلاثة رجال أمامهم رجل فاسق.

قال أحدهم: أنا لا أسلم على هذا الفاسق وأهجره وأبتعد عنه ولا أكلمه.

والثاني يقول: أنا أمشي مع هذا الفاسق وأسلم عليه وأبش في وجهه وأدعوه عندي وأجيب دعوته وليس عندي إلا رجلاً صالحًا.

والثالث يقول: هذا الفاسق أكرهه لفسقه وأحبه لإيمانه ولا أهجره إلا حيث يكون الهجر سببًا لإصلاحه.

فإن لم يكن الهجر سببًا لإصلاحه بل كان سببًا لازدياده في فسقه فأنا لا أهجره.

فنقول: الأول: مفطر غالٍ من الغلو.

والثاني: مفرط مقصر.

والثالث: متوسط.

وهكذا نقول في سائر العبادات ومعاملات الخلق الناس فيما بين: مقصر، وغالٍ، ومتوسط.

الوسطية في الزوجة

مثال: رجل كان أسيرًا لامرأته توجهه حيث شاءت لا يردها عن إثم ولا يحثها على فضيلة قد ملكت عقله وصارت هي القوامة عليه.

ورجل آخر عنده تعسف وتكبر وترفع على امرأته لا يبالي بها وكأنها عنده أقل من الخادم.

ورجل ثالث: وسط يعاملها كما أمر الله ورسوله: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

والحديث الثابت في صحيح مسلم حيث قال النبي ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر».

فهذا الأخير: متوسط. والأول: غالٍ في معاملة زوجته. والثاني: مقصر.

وقس على هذه بقية الأعمال والعبادات.

الإسلام وسط بين اليهودية والنصرانية فيما يتعلق بالأعمال:

قال العلامة ابن جبرين: المثال الأول: فاليهود يرون الطلاق ولا يرون الرجعة، فلو طُلقت الزوجة فلا رجعة عليها لزوجها.

أما النصارى: فيرون أن لا طلاق، فمتى عقد الإنسان فلا طلاق له، ولا يحق له الطلاق.

وجاء الإسلام فتوسط: وجعل للإنسان أن يطلق للحاجة متى شاء، وأن يراجع بعد الطلقة الأولى، وبعد الثانية، فقد يتعجل الإنسان في أمر لا بد فيه من الأناة فيستدرك ذلك بعد حين.

المثال الثاني: اليهود يرون القصاص في القتل حتمًا وليس هناك مجال للعفو، بينما يرى النصارى العفو حتمًا.

فجاء الإسلام بالتخيير: وذلك بتخيير ولي المقتول بين القصاص وبين العفو وأخذ الدية أو العفو مطلقًا فصار بذلك متوسطًا، لا إلزام بالعفو، ولا إلزام بالقصاص، بل توسط بينهما.

المثال الثالث: كذلك جاء الإسلام أيضًا في أحكام المجازاة ونحوها، فقد أباح الله سبحانه وتعالى المجازاة على الأعمال بمثلها، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ [النحل: ١٢٦].

كما أباح للإنسان أن يعاقب من يعتدي عليه بالمثل في قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

أي بالمثل فقط لا بالزيادة، ولكن فضل الصبر لقوله: ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾.

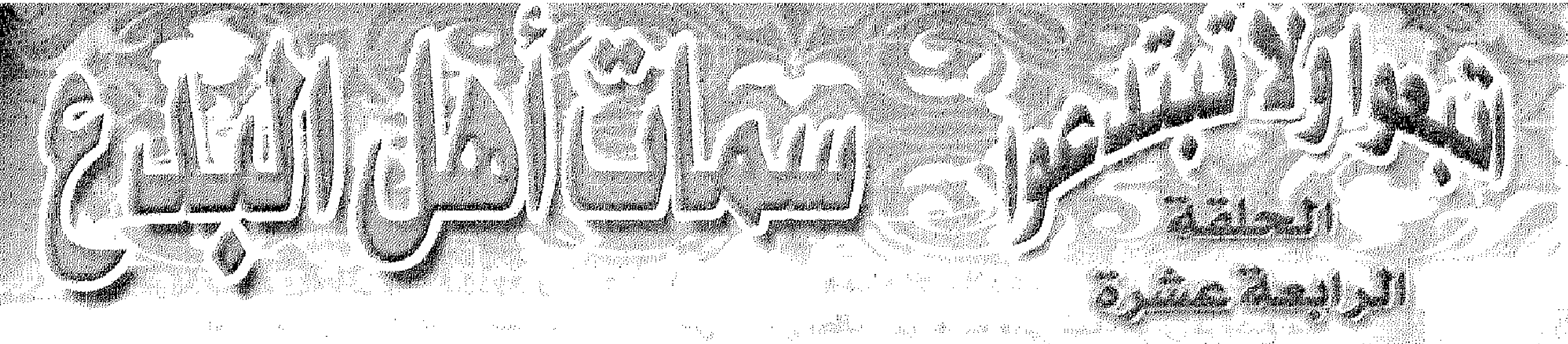
لكنّ دين النصارى يأمرهم بأن يعفو وأن لا ينتصروا ولا ينتقموا لأنفسهم أبدًا.

ودين اليهود: يحتم عليه بأن يستوفي وأن يقتص.

فالإسلام: جاء بهذا الدين الذي لا إفراط فيه ولا تفريط. اهـ.

وترى الإسلام وسطًا في نظامه الاقتصادي بين الرأسمالية والشيوعية وكذلك في النظام الاجتماعي بين الطرفين السالفين المشار إليهما، ووسط في نظامه السياسي بين الديمقراطية والديكتاتورية فهو وسط في كل شيء، فاحمد الذي منّ علينا بالإسلام، ونسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يقبضنا عليه ويجعلنا من العاملين به الداعين إليه على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على رسولنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلقد شرفت جماعة أنصار السنة المحمدية بانتسابها إلى المنهج الحق منهج السلف، أهل السنة والجماعة، الذي يقوم على اعتقاد أن مصادر الدين الكتاب والسنة والإجماع، وما عدا ذلك فهو باطل؛ لأنه بموت النبي ﷺ انقطع الوحي، وقد أكمل الله تعالى الدين، قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، والرسول ﷺ قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة، وقال ﷺ: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما :كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض». [صحيح الجامع: ٢٩٣٤]

والدين الحق يقوم على التسليم والتصديق والاتباع، وهو دين الله تعالى، أنزله على رسوله ﷺ بالوحي، وأكمله، فليس لأحد أن يحدث شيئًا زاعمًا أنه من الدين، لأن النبي ﷺ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». [متفق عليه]

أما أهل الأهواء والبدع فقد تفرقت بهم السبل في مصادر التلقي والاستدلال.

وفي هذا المقال نكمل ما بدأناه في الحلقة السابقة، ونتناول صورًا أخرى من الخلل في منهج فهم الدين وتلقيه عندهم، فمن ذلك:

صور من الخلل في منهج التلقي والاستدلال عند المبتدعة

١- اعتمادهم في تقرير العقيدة على أصولهم الفاسدة

من منهاج أهل الأهواء والبدع وسماتهم العامة، أنهم يعتمدون على أصولهم الفاسدة في تقرير الدين أولا، ثم يتلمسون من الأدلة الشرعية ما يوافق أهواءهم على غير نهج سليم.

قال شيخ الإسلام مبينًا الفرق بين منهج أهل السنة ومنهج أهل الأهواء: «والألفاظ نوعان، نوع يوجد في كلام الله ورسوله ﷺ، ونوع لا يوجد في كلام الله ورسوله ﷺ فيعرف معنى الأول ويجعل ذلك المعنى هو الأصل، ويعرف ما يعنيه الناس بالثاني ويرد إلى الأول، هذا طريق أهل الهدى والسنة، وطريق أهل الضلال والبدع بالعكس، يجعلون الألفاظ التي أحدثوها ومعانيها هي الأصل، ويجعلون ما قاله الله ورسوله تبعًا له، فيردونها بالتأويل والتحريف إلى معانيهم، ويقولون نحن نفسر القرآن بالعقل واللغة، يعنون أنهم يعتقدون معنى بلغتهم ورأيهم، ثم يتأولون القرآن عليه بما يمكنهم من التأويلات والتفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه».

[الفتاوى ١٧/٣٥٥]

وقال: «وأهل البدع سلكوا طريقًا أخرى ابتدعوها اعتمدوا عليها، ولا يذكرون الحديث، بل ولا القرآن في أصولهم إلا للاعتضاد لا للاعتماد».

[منهاج السنة ٣٧/٧]

وقال: «والمقصود هنا أن السلف كان اعتصامهم بالقرآن والإيمان، فلما حدث في الأمة ما حدث من التفرق والاختلاف صار أهل التفرق شيعًا، وصار عمدتهم في الباطن ليس على القرآن والإيمان، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم، عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والقدر والإيمان بالرسول وغير ذلك، ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به، وما خالفها تأولوه، فلهذا تجدهم إذا احتجوا بالقرآن والحديث لم



إعداد/ معاوية محمد هيكل

يعتنوا بتحرير دلالتهما، ولم يستقصوا ما في القرآن من ذلك المعنى؛ إذ كان اعتمادهم في نفس الأمر على غير ذلك، والآيات التي تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن، ليس مقصوده أن يفهم مراد الرسول ﷺ؛ بل أن يدفع منازعه عن الاحتجاج بها». [الفتاوى ١٣/٥٨، ٥٩]

وقال: «وأهل البدع والضلال الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا هم كما قال مجاهد: أهل البدع والشبهات يتمسكون بما هو بدعة في الشرع ومشتبه في العقل، كما قال فيهم الإمام أحمد: هم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب، يحتجون بالمتشابه من الكلام، ويضلون الناس بما يشبهون عليهم. والمفترقة من أهل الضلال تجعل لها دينًا وأصول دين قد ابتدعوه برأيهم، ثم يعرضون ذلك على القرآن والحديث، فإن وافقه احتجوا به اعتضادًا لا اعتمادًا، وإن خالفه فتارة يحرفون الكلم عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله، وهذا فعل أئمتهم، وتارة يعرضون عنه ويقولون: نفوض معناه إلى الله، وهذا فعل عامتهم وعمدة الطائفتين في الباطن غير ما جاء به الرسول ﷺ يجعلون أقوالهم البدعية محكَمة يجب اتباعها واعتقاد موجبها، والمخالف إما كافر وإما جاهل لا يعرف هذا الباب وليس له علم بالمعقول ولا بالأصول، ويجعلون كلام الله ورسوله الذي يخالفها من المتشابه الذي لا يعرف معناه إلا الله، أو لا يعرف معناه إلا الراسخون في العلم، والراسخون عندهم من كان موافقًا لهم على ذلك القول» [الفتاوى ١٣/١٤٢، ١٤٣]

٢- استعمال الأقيسة العقلية في صفات الله وسائر أصول العقيدة

من المعلوم أن المذهب الحق في أمور العقيدة أنها توقيفية لا مجال للعقول فيها إلا بالتسليم للنصوص الثابتة، لأن العقول والأفكار لا تحيط بالغيب، وأن القاعدة الشرعية أن الله تعالى له المثل الأعلى من كل شيء، فلا يقاس بغيره ولا يقاس به غيره. [درء التعارض: ١/٢٩]

إلاَّ أن أهل الأهواء قاسوا الله تعالى بخلقه في نفس الوقت الذي زعموا فيه الهروب من الإثبات خوفًا من التشبيه، فقد قالوا في الصفات بمقاييس عقلية، ومن ذلك:

مقولتهم: «أن الجسم لا يخلو عن الأعراض التي هي الصفات، وأن ما لا يخلو من الصفات فهو محدَث؛ لأن الصفات التي هي الأعراض لا تكون إلاَّ محدثة، ولأجلها التزم جهم التعطيل وفناء الجنة والنار». [درء التعارض: ٤/٣٩]

ثم التزم المعتزلة نفي الصفات، ثم التزم الكلابية والأشاعرة والماتريدية نفي أفعال الله الاختيارية، وتأويل الصفات.

«والتزم أبو الهذيل انقطاع حركات أهل الجنة». [درء التعارض: ١/٤٠]

كما التزم أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم لأجلها نفي الصفات أو بعضها، التزموا كذلك القول بخلق القرآن، وأن الله لا يُرَى في الآخرة، وإنكار العلو على العرش.

[درء التعارض: ١/٤٠، ٤١]

ومن ذلك قولهم: «إن اليد والعين والوجه جوارح وأعضاء»، والله منزه عن الأعضاء والجوارح، وعليه فليس لله يد ولا عين ولا وجه، فردوا ما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ بالأقيسة العقلية.

ولهذا قال الإمام أحمد: أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس، وقال: يجتنب المتكلم في الفقه هذين الأصلين: المجمل والقياس، وهذه طريقة يشترك فيها جميع أهل البدع الكبار والصغار فهي طريق الجهمية والمعتزلة ومن دخل في التأويل من الفلاسفة والباطنية والملاحدة.

[الفتاوى ١٧/٣٣٥]

ولذلك قال شيخ الإسلام: «التمسك بالأقيسة مع الإعراض عن النصوص والآثار طريق أهل البدع». [الفتاوى: ٧/٣٩٢]

والمتأمل لحال أهل الكلام يجد أنهم ما نفوا صفات الله تعالى إلا حينما قاسوها على صفات الخلق وأفعالهم، ولم يعتقدوا أن الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

٢- اعتمادهم على التأويل والتعطيل في صفات الله تعالى وسائر العقيدة

فالتأويل من أخطر مناهج أهل الأهواء والبدع، فهو وسيلتهم لرد دلالة النصوص وتعطيل معانيها، دون تعرض لإنكارها وردها بالكلية، ومن ذلك:

تحريف التأويل وتحريف التنزيل، قال تعالى: ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]

ومبدأ التأويل عند أهل الكلام كان في مسائل قليلة- كالكلام- وبحذر شديد، ثم تجارت بهم الأهواء حتى فتحوا باب التأويل الفاسد.

ولما فتحوا باب التأويل لم يقف متأخروهم عند حد، فأولوا جميع الصفات الخبرية، حتى قال الكوثري: «وإذا صح التأويل لبرهان في شيء صح في بقية الأشياء، حتى لا فرق بين برهان وبرهان ولا لفظ ولفظ».

وهذا ما كان يُحذِّر منه السلف في تعليلهم كراهة التأويل كما ذكر شيخ الإسلام وغيره، فقد كان السلف يقولون لمبتدعة التأويل من أهل الكلام الأوائل: إذا فتحتم باب التأويل في بعض الصفات والسمعيات، فمن يأمن أن يتذرع غيركم بذلك إلى التعطيل وتغيير جميع العقائد والشرائع، وقد حصل فعلاً أن عطلت الجهمية والفلاسفة والباطنية، قال الدارمي: «وبلغنا أن بعض أصحاب المريسي قال له: كيف تصنع بهذه الأسانيد الجياد التي يحتجون بها علينا في رد مذاهبنا مما لا يمكن التكذيب بها مثل: سفيان عن منصور عن الزهري، والزهري عن سالم، وأيوب وابن عون عن ابن سيرين، وعمرو بن دينار عن جابر، عن النبي ﷺ وما أشبهها؟

قال: فقال المريسي: لا تردوه تفتضحوا، ولكن غالطوه بالتأويل، فتكونوا قد رددتموها بلطف إذ لم يمكنكم ردها بعنف، كما فعل هذا المعارض سواء...». [رد الدارمي: ٢٠٠، ٢٠١]

ولما فعل ذلك بشرٌ المريسي حيث ألف كتبًا في تأويل كثير من نصوص الصفات وأفعال الرب سبحانه وتعالى، تابعه آخرون ممن ينتسبون للسنة كابن الثلجي، ثم استمد ابن فورك من ابن الثلجي، وتأثر به بعض أوائل الأشاعرة كالبيهقي، والباقلاني، والخطابي، ثم صار التأويل منهجًا للأشاعرة، ومنذ عهد الجويني (أبو المعالي) ثم الغزالي والرازي والآمدي والإيجي صار التأويل منهجًا للأشاعرة في صفات الله تعالى وأفعاله، وفتحوا أبواب التأويل على مصاريعها في الصفات وغيرها، فصار كل صاحب هوى أو شبهة أو نزعة عقلانية، يعارض ويرد ما يرده من شرع الله ونصوص الوحي بالتأويل. فحسبنا الله ونعم الوكيل. [انظر دراسات في الأهواء/د. العقل]

قال ابن القيم: «وحقيقة الأمر أن كل طائفة تتأول ما يخالف نحلتها ومذهبها، فالمعيار على ما يتأول وما لا يتأول هو المذهب الذي ذهبت إليه والقواعد التي أصلتها، فما وافقها أقروه ولم يتأولوه، وما خالفها فإن أمكنهم دفعه وإلاّ تأولوه، ولهذا لما أصلت الرافضة عداوة الصحابة؛ ردوا كل ما جاء في فضائلهم والثناء عليهم أو تأولوه.

ولما أصلت الجهمية أن الله لا يتكلم ولا يكلِّم أحدًا، ولا يُرى بالأبصار، ولا هو فوق عرشه مبائن لخلقه، ولا له صفة تقوم به؛ أوَّلوا كل ما خالف ما أصلوه.

ولما أصلت القدرية أن الله سبحانه لم يخلق

وماذا يكره الله

يكره الله



إيثار الدنيا على الآخرة

إعداد/ عدنان الطرشة

إن إيثار الدنيا على الآخرة يكون إما من فساد في الإيمان، وإما من فساد في العقل، وما أكثر ما يكون منهما، ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره هو وأصحابه وصرفوا عنها قلوبهم، وطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعدّوها سجناً لا جنة، فزهدوا فيها حقيقة الزهد، وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى آذن بالرحيل.

قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر». [صحيح مسلم- كتاب الزهد]. فكل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة، مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان.

فالزاهد في الدنيا هو الذي علم أن الله عزّ وجلّ قد أهان الدنيا، وأنه لم يرضها لأوليائه، وأنها عنده حقيرة قليلة، وأن رسول الله ﷺ زهّد فيها وحذّر أصحابه من فتنتها، وهو الذي نظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها ونقصانها وخستها وألم المزاحمة عليها والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع مع ما يعقب من الحسرة والأسف، ونظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها ولابد، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرّات والتفاوت الذي بينها وبين ما في الدنيا، وإذا كان أغلب الناس لا يتركون النفع العاجل واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة؛ فالزاهد في الدنيا قد تبين له فضل الآجل على العاجل، وقويت رغبته في الأعلى الأفضل.

فالمؤمن الذي يحبه الله هو الذي لا يركن إلى الدنيا ولا يتخذها وطناً، ولا يحدّث نفسه بطول البقاء فيها، ولا بالاعتناء بها، ولا يتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه، ولا يشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله ووطنه.

وقفات مع القصة في كتاب الله

بنو إسرائيل بعد موسى

الحلقة الثانية

طالوت وداود

إعداد: عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله القائل: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾. أما بعد:

كان لقاؤنا السابق حول خروج بني إسرائيل من التيه، ودخولهم الأرض المقدسة بقيادة يوشع بن نون عليه السلام، وقد حكم يوشع بالتوراة مدة بقائه بينهم، ولما حانت وفاته؛ أوصى بني إسرائيل بالثبات على دينهم والتمسك بتوراتهم، لأن ذلك سبب عزتهم في الدنيا ونجاتهم يوم الدين، وتوالت عليهم الأحداث والسنون، ولما اشتهر به بنو إسرائيل من التفلت والانحلال كلما حانت لهم الفرصة، فقد جعل الله سياستهم في أيدي أنبيائهم، كلما مات نبي خلفه نبي، ليكون أردع لهم عن الذنب، وأوجع لهم في العقاب إذا حادوا عن الصراط المستقيم.

روى البخاري ومسلم وغيرهما بالسند إلى أبي هريرة رضي الله عنه يحدِّث عن النبي ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء...». الحديث.

لكن هل حفظ اليهود عهود أنبيائهم ومنهم يوشع عليه السلام وقد مكنَّهم الله من الأرض المقدسة؟ هيهات هيهات، وقد مرَّ بنا من تاريخهم ما يدل على طبيعتهم المتمرِّدة على أوامر الله، والمستهينة بمتابعة أنبيائه وهم بين ظهرانيهم؛ فكيف يكون الحال بعد وفاة النبيِّ وخلوِّ الزمان منه؟ نقل الإمام ابن كثير في تفسيره عن أهل العلم: (كان بنو إسرائيل بعد موسى عليه السلام على طريق الاستقامة مدة من الزمان، ثم أحدثوا الأحداث وعبد بعضهم الأصنام، ولم يزل بين أظهرهم من الأنبياء من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويقيمهم على منهج التوراة إلى أن فعلوا ما فعلوا فسلط الله عليهم أعداءهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا خلقًا كثيرًا وأخذوا منهم بلادًا كثيرة). وهذا ما تتناوله الآيات الكريمة التالية من سورة البقرة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٤٨) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦- ٢٥٢].

وسيكون لنا مع هذه الآيات الكريمة وقفتان الأولى: حول معاني الآيات، والثانية: حول الدروس المستفادة منها.

أولاً: المعاني والشرح:

١ - قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: ألم تعلم، لكن «ألم تر» نقلت المُتلقِّي إلى زمان ومكان الحدث كأنه يراه ويسمعه، فهذا أبلغ في التعبير عن صدق الخبر وحقيقته وشموله، وكيف لا، والمخبر هو رب العالمين سبحانه. ﴿المَلإِ﴾ وجوه القوم، وأهل الرأي والمشورة فيه، اقترحوا على نبيٍّ لهم في زمن ما بعد موسى أن يجعل عليهم ملكًا قائدًا يقودهم في قتالهم ضد أعدائهم، حتى يتحدوا بعد تفرّق، ويستعيدوا ما سلبه منهم أعداؤهم.

٢ - ﴿نَبِيٍّ لَّهُمُ﴾ النبي هو «شمعون» كما ذكر السدِّي، ويقال: «شمويل» كما ذكره مجاهد، وأيضًا يقال: «سمعون». وهذا هو الصحيح خلافًا لمن قال: «يوشع بن نون»، وقد سبق الحديث عن يوشع، ولا يُعقل أن يكون هو المقصود هنا لأن يوشع كان معاصرًا لموسى وتولى الأمر بعده، أما هذه القصة فكانت في زمن داود عليه السلام وبينه وبين موسى أكثر من ألف عام. ذكره ابن كثير.

٣ - أجابهم نبيهم من خلال خبرته بأحوالهم يريد أن يتأكد من عزمهم وصدقهم في مرادهم متسائلاً عن جدهم في طلبهم، أحقًا ستقاتلون؟ أم أنكم عند التقاء الجيشين ستفرون؟ قالوا: وما لنا ألا نقاتل وقد أخرجنا عدونا من ديارنا، وأبعدنا عن أبنائنا، ونسائنا بالقتل والأسر.

٤ - ورغم أيمانهم المغلظة، وعهودهم المؤكدة، والمبررة بما حدث لهم، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

٥ - قال لهم نبيهم «شمعون»: إن الله اختار طالوت ملكًا عليكم يقودكم لقتال عدوكم.

٦ - قالوا: كيف يكون (طالوت) ملكًا علينا، وليس هو من سَبْط الملوك ولا من بيت النبوة، وليس من أهل الثراء؟ فنحن أحق بالملك منه.

٧ - ردّ عليهم شمعون عليه السلام مؤكدًا قوله مُدعمًا له بحجة لا تقبل المناقشة، قال: إن الله سبحانه وتعالى هو الذي اختاره، وهيأه لقيادتكم بزيادة وسعة في العلم والجسم، وهذه أهم مؤهلات القيادة والله أعلم باختياره يؤتي ملكه من يشاء فهو سبحانه واسع الفضل والعطاء عليم بحقائق الأمور لا يخفى عليه منها شيء.

٨ - لم يكن أمام بني إسرائيل إلا التسليم، وإن كان كثير منهم استسلموا وهم كارهون.

٩ - قال لهم نبيهم إن علامة ملك طالوت عليكم أن يأتيكم (التابوت) الصندوق الذي فيه التوراة، وأيضًا فيه آثار مما ترك آل موسى وهارون تحمله الملائكة.

١٠ - هذا التابوت كان قد انتزعه منهم أعداؤهم عندما جاسوا خلال ديارهم فعندما ينتزع من عند أعدائهم، ويأتيهم بطريقة لا دخل لهم بها فهذا من أهم علامات النصر والتمكين لهم، ومن أقوى الأدلة المادية على ملك طالوت.

١١ - لما خرج طالوت بقومه لقتال الأعداء أراد أن يُجري حالة من التصفية بين جنوده تقوم على أساس القلَّة الصالحة خير من الكثرة التي تجمع الغث والسمين.

١٢ - أخبرهم طالوت بابتلاء الله لهم بعدم الشرب من النهر الذي سيعبرونه، فالذي يشرب لا يصلح للجهاد، والذي لا يشرب فهو الصابر المحتسب المطيع فهذا هو المجاهد، واستثنى طالوت من اغترف غُرْفة بيده فهذا يمكنه أن ينضم للجيش.

١٣ - وكانت المفاجأة أنهم شربوا من النهر إلا قليلاً، يعني الكثير عَبَّ من الماء عبًا وملأ بطنه، والقليل الذي أمسك عن الشرب أو اغترف غُرفة بيده.

١٤ - إذا كنت ترى فيما سبق عجبًا فما يأتي أعجب - وكل أمر بني إسرائيل عجيب وغريب- والأعجب الذي أقصده أن طالوت عندما عبر النهر بجنوده المختارين بعد هذا الامتحان قالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، فهذه القلة المختارة تقول هذا: إنه لأمر مؤسف، لكن قالت طائفة منهم من أهل الإيمان والتقوى قالوا قولة أهل الحق والإيمان في كل زمان ومكان: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

١٥ - ولما غلب منطق الإيمان والثقة بنصر الله والتقى الجيشان هزموهم بإذن الله، وقتل داود جالوت، كان مقتل جالوت هو مفتاح هزيمة العمالقة الجبارين حيث كان جالوت هو رأسهم وقد حكيت أساطير في قوته وبطشه، وعندما قُتل هُزم جيشه واستعاد بنو إسرائيل ملكهم بإذن الله، وإذا أراد الله أمرًا هيأ له أسبابه الظاهرة والخفية.

١٦ - هناك نقولٌ كثيرة عن أهل الكتاب في قصة قتل داود لجالوت قد أغنانا الله بالقرآن عنها، فإن الله سبحانه قال في هذا الموطن عن داود: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ فقد أشارت هذه الكلمات العظيمة إلى نبوة داود وملكه لبني إسرائيل، فقد آتاه الله ملك طالوت ونبوة شمعون، وعلّمه الله التوراة وصناعة الدروع ومنطق الطير وغير ذلك مما شاء ربنا سبحانه وتعالى، وبدأ في بني إسرائيل عصر داود عليه السلام، وسنأتي في المرة القادمة للحديث عن الدروس المستفادة من هذه القصة ثم نستكمل مسيرة بني إسرائيل في عصر داود عليه السلام. وإلى لقاء نستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

والحمد لله رب العالمين







إعداد/ مجدي عرفات

نسبه: هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، القرشي الأموي المدني أشج بني أمية الخليفة الراشد رضي الله عنه.

ولد سنة مقتل الحسين يعني سنة إحدى وستين وقيل ثلاث.

كان أسمر رقيق الوجه حسنه، نحيف الجسم حسن اللحية غائر العينين بجبهته أثر نفخة دابة (وهي الشجة) وقد وخطه الشيب.

حدث عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب والسائب بن يزيد وسهل بن سعد وصلى إمامًا لأنس بن مالك رضي الله عنه فقال: ما رأيت إمامًا أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى.

وروى عن سعيد بن المسيب وعروة، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وأبي بكر بن عبد الرحمن وطائفة.

روى عنه أبو بكر بن حزم ورجاء بن حيوة وابن المنكدر والزهري وأيوب السختياني وإبراهيم بن عَبْلَة وحميد الطويل وابنه عبد العزيز بن عمر، وأخوه زبَّان ويحيى بن سعيد الأنصاري وخلق سواهم.

ثناء العلماء عليه: وهو أشهر من أن يذكر ولكن للذكر والترجمة.

قال أبو جعفر الباقر: لكل قوم نجيبة وإن نجيبة بني أمية عمر بن عبد العزيز إنه يبعث أمة وحده.

قال عمرو بن ميمون: كانت العلماء مع عمر بن العزيز تلامذة.

قال الحسن البصري لما بلغه موته: مات خير الناس.

قال ميمون بن مهران: إن الله يتعاهد الناس بنبي بعد نبي وإن الله تعاهد الناس بعمر بن عبد العزيز.

عن إبراهيم بن ميسرة: قلت لطاوس: هو المهدي- يعني عمر بن عبد العزيز- قال: هو المهدي، وليس به إنه لم يستكمل العدل كله.

قال ابن عون كان ابن سيرين إذا سئل عن الطِّلاء (شراب العنب المطبوخ) قال: نهى عنه إمام هدىً يعني عمر بن عبد العزيز.

عن سهيل بن أبي صالح قال: كنا بعرفة فمر عمر بن العزيز وهو على الموسم فقام الناس ينظرون إليه، فقلت لأبي: يا أبت إني أرى الله يحب عمر بن العزيز، قال: وما ذاك؟ قلت: لما له من الحب في قلوب الناس، قال سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله رسول الله ﷺ فذكر الحديث «إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض». [رواه مسلم].

قال ابن سعد في الطبقات: أمه هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وكان ثقة مأمونًا له فقه وعلم وورع.

قال الذهبي: وكان من أئمة الاجتهاد

ومن الخلفاء الراشدين، وقال: كان هذا الرجل حسن الخلق والخلق كامل العقل حسن السمت جيد السياسة حريصًا على العدل بكل ممكن، وافر العلم فقيه النفس طاهر الذكاء والفهم أواهًا منيبًا قانتًا لله حنيفًا زاهدًا مع الخلافة ناطقًا بالحق مع قلة المعين، وكثرة في الأمراء الظلمة الذين ملوه وكرهوا محاققته لهم ونقصه أعطياتهم وأخذه كثيرًا مما في أيديهم مما أخذوه بغير حق فما زالوا به حتى سقوه السم فحصلت له الشهادة والسعادة وعد عند أهل العلم من الخلفاء الراشدين والعلماء العاملين.

قال ابن حجر: ولي إمرة المدينة للوليد وكان مع سليمان كالوزير، وولي الخلافة بعده فعُدّ من الخلفاء الراشدين.

من أحواله وأقواله: عن أبي قبيل: أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير فأرسلت إليه أمه وقالت: ما يبكيك؟ قال: ذكرت الموت قال: وكان يومئذ قد جمع القرآن فبكت أمه حين بلغها ذلك.

قال زيد بن أسلم قال لنا أنس بن مالك: ما صليت وراء إمام بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاةً برسول الله ﷺ من إمامكم هذا يعني عمر بن عبد العزيز، قال زيد فكان عمر يتم الركوع والسجود ويخفف القيام والقعود.

قال ميمون بن مهران: أتينا عمر بن عبد العزيز ونحن نرى أنه يحتاج إلينا فما كنا معه إلا تلامذة وكذلك جاء عن مجاهد وغيره.

قال الزهري: سمرت مع عمر بن عبد العزيز ليلة فحدثته فقال كل ما حدثته الليلة فقد سمعته ولكنك حفظت ونسيت.

حج سليمان ومعه عمر بن عبد العزيز فأصابهم برق ورعد حتى كادت تنخلع قلوبهم فقال سليمان: يا أبا حفص هل رأيت مثل هذه الليلة قط أو سمعت بها؟ قال: يا أمير المؤمنين، هذا صوت رحمة الله فكيف لو سمعت صوت عذاب الله؟!

قال عمر بن عبد العزيز: ما كذبت منذ علمت أن الكذب يضر أهله.

عن ابن عمر قال عمر: إنا كنا نتحدث وفي لفظ: يزعم الناس أن الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر، قال: فكان بلال ولد عبد الله بن عمر بوجهه شامة وكانوا يرون أنه هو حتى جاء الله بعمر بن عبد العزيز أمه هي ابنة عاصم بن عمر.

قال سليمان لعمر: يا أبا حفص، إنا ولينا ما قد ترى ولم يكن بتدبيره علم، فما رأيت من مصلحة العامة فمُر به، فكان من ذلك عزل عمال الحجاج وأقيمت الصلوات في أوقاتها بعدما كان أميتت عن وقتها مع أمور جليلة كان يسمع من عمر فيها، قيل إن سليمان حج فرأى الخلائق بالموقف، فقال لعمر أما ترى هذا الخلق الذي لا يحصي عددهم إلا الله قال: هؤلاء اليوم رعيتك وهم غدًا خصماؤك، فبكى بكاءً شديدًا.

قال رجاء بن حيوة: ثقل سليمان ولما مات أجلسته وسندته وهيئته ثم خرجت إلى الناس فقالوا: كيف أصبح أمير المؤمنين؟ قلت: أصبح ساكنًا، فادخلوا سلموا عليه وبايعوا بين يديه ما في العهد، فدخلوا وقمت عنده وقلت: إنه يأمرك بالوقوف، ثم أخذت الكتاب من جيبه وقلت إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا على ما في هذا الكتاب فبايعوا، وبسطوا أيديهم، فلما فرغوا قلت: آجركم الله في أمير المؤمنين، قالوا: فمن؟ ففتح الكتاب فإذا فيه عمر بن عبد العزيز فتغيرت وجوه بني عبد الملك فلما سمعوا (وبعده يزيد) تراجعوا، وطلب عمر فإذا هو في المسجد فأتوه وسلموا عليه بالخلافة فعقر فلم يستطع النهوض حتى أخذوا بضبعيه فأصعدوه المنبر فجلس طويلاً لا يتكلم، فقال رجاء: ألا تقومون إلى أمير المؤمنين فتبايعونه، فنهضوا إليه ومد يده إليهم، فلما مدّ هشام بن عبد الملك يده إليه قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال عمر :نعم إنا لله وإنا إليه راجعون، حين صار يلي هذه الأمة أنا وأنت، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس، إني لست بفارض ولكني منفذ ولست بمبتدع ولكني متبع، وإن من حولكم من الأمصار إن أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم، وإن هم أبوا فلست لكم بوالٍ، ثم نزل، فأتاه صاحب المراكب، فقال: لا ائتوني بدابتي، ثم كتب إلى عمال الأمصار، قال رجاء: كنت أظن أنه سيضعف فلما رأيت صنعه في الكتاب علمت أنه سيقوى.

قال عبيد الله بن عمر: خطبهم عمر فقال: لست بخير أحد منكم ولكن أثقلكم حملاً.

قال الزهري: كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم ليكتب له بسيرة عمر في الصدقات، فكتب إليه بذلك، وكتب إليه: إنك إن عملت بمثل عمل عمر في زمانه ورجاله في مثل زمانك ورجالك كنت عند الله خيرًا من عمر.

قال الذهبي: هذا كلام عجيب، أنى يكون خيرًا من عمر؟ حاشى وكلا ولكن هذا القول محمول على المبالغة، وأين عز الدين بإسلام عمر؟ وأين شهوده بدرًا؟ وأين فَرَق الشيطان من عمر؟ وأين فتوحات عمر شرقًا وغربًا؟ وقد جعل الله لكل شيء قدرًا.

عن مغيرة: أن عمر خطب وقال: والله إن عبدًا ليس بينه وبين آدم أب إلا قد مات لَمُعْرَقٌ له في الموت. (أي إنه أصيل في الموت)

عن ميمون بن مهران، [illegible] عمر بن عبد العزيز

يقول: لو أقمت فيكم خمسين عامًا ما استكملت فيكم العدل، إني لأريد الأمر من أمر العامة فأخاف ألا تحمله قلوبهم فأخرج معه طمعًا من طمع الدنيا.

عن ضمرة قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: أما بعد: فإذا دعتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم فاذكر قدرة الله تعالى عليك، ونفاد ما تأتي إليهم وبقاء ما يأتون إليك.

عن عطاء بن أبي رباح قال: حدثتني فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز أنها دخلت عليه فإذا هو في مصلاه يده على خده سائلة دموعه، فقلت: يا أمير المؤمنين ألشيء حدث؟ قال: يا فاطمة إني تقلدت أمر أمة محمد ﷺ فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع والعاري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، والكبير، وذي العيال في أقطار الأرض، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم، وأن خصمهم دونهم محمد ﷺ فخشيت ألا تثبت لي حجة عند خصومته فرحمت نفسي فبكيت.

عن عمر بن سعيد بن أبي حسين قال: كان مؤذن لعمر بن عبد العزيز إذا أذن رعَد، فبعث إليه: أذن أذانًا سمحًا ولا تغنّه وإلا فاجلس في بيتك.

عن الأوزاعي قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رسالة لم يحفظها غيري وغير مكحول: أما بعد فإنه من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما ينفعه، والسلام.

قال عمر: أفضل القصد عند الجِدَة، وأفضل العفو عند المقدرة.

قال عمر: إن نفسي تواقة، وإنها لم تعط من الدنيا شيئًا إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه، فلما أعطيت ما لا أفضل منه في الدنيا، تاقت إلى ما هو أفضل منه، يعني الجنة.

قال مالك بن دينار: يقول الناس عني: زاهد، وإنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها.

قال عمرو بن مهاجر: كانت نفقة عمر بن عبد العزيز كل يوم درهمين.

قال رجاء بن حيوة لعبد العزيز بن عمر: ما أكمل مروءة أبيك، سمرت عنده فعشى السراج وإلى جانبه وصيف نام، قلت: ألا أنبهه؟ قال: لا دعه، قلت: أنا أقوم، قال: لا ليس من مروءة الرجل استخدامه ضيفه، فقام إلى بطة الزيت (إناء كالقارورة) وأصلح السراج ثم رجع، وقال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل: إنك إن استشعرت ذكر الموت في ليلك ونهارك، بغّض إليك كل فانٍ، وحبب إليك كل باقٍ، والسلام.

قال سعيد بن أبي عروة: كان عمر إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله.

ومما يروي له من الشعر:

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم؟
وكيف يطيق النوم حيران هائم
فلو كنت يقظان الغداة لخرقت
مدامع عينيك الدموعُ السواجم
تُسر بما يبلى وتفرح بالمنى
كما اغتر باللذات في اليوم حالم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة
وليلك نوم والردى لك لازم
وسعيك فيما سوف تكره غِبّه
كذلك في الدنيا تعيش البهائم

عن مجاهد قال: قال لي عمر بن عبدالعزيز: ما يقول فيّ الناس؟ قلت: يقولون: مسحور، قال: ما أنا بمسحور، ثم دعا غلامًا له فقال: ويحك، ما حملك على أن سقيتني السُّمّ؟ قال: ألف دينار أعطيتها وعلى أن أعتق، قال: هاتها، فجاء بها، فألقاها في بيت المال، وقال: اذهب لا يراك أحد. قال الذهبي: كانت بنو أمية قد تبرمت بعمر لكونه شدد عليهم وانتزع كثيرًا مما في أيديهم مما قد غصبوه وكان قد أهمل التحرز فسقوه السم.

قال المغيرة بن حكيم: قلت لفاطمة بنت عبد الملك: كنت أسمع عمر في مرضه يقول: اللهم أخف عليهم أمري ولو ساعة، قالت: قلت له: ألا أخرج عنك فإنك لم تنم، فخرجت فجعلت أسمعه يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ مرارًا، ثم أطرق فلبثت طويلاً لا يسمع له حسٌ، فقلت لوصيف: ويحك انظر، فلما دخل صاح فدخلت فوجدته ميتًا قد أقبل بوجهه على القبلة ووضع إحدى يديه على فيه والأخرى على عينيه، قلت: وأخباره رضي الله عنه كثيرة قد أفردت فيها مصنفات، ولكن هذه إشارة إليها، فرحمه الله، ورضي عنه.

وفاته: كانت وفاته يوم الخميس لخمس مضين من رجب سنة إحدى ومائة.

المراجع:

- سير أعلام النبلاء. - التاريخ للزهير.
- سيرة عمر بن عبد العزيز.
- تهذيب التهذيب. - تقريب التهذيب.

الإيمان بالرسل

الحلقة السابعة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

نواصل في هذا المقال الحديث عن الصفات التي خص الله بها الأنبياء والرسل دون سائر البشر.

١- تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم:

ففي كتاب المناقب في صحيح البخاري رحمه الله باب كان النبي صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه، أخرج في هذا الباب حديثين، الأول عن عائشة رضي الله عنها لما سألها أبو سلمة بن عبد الرحمن: كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان؟ قالت: ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة: يصلي أربع ركعات فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم أربعًا فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا، فقلت: يا رسول الله، تنام قبل أن توتر؟ قال: تنام عيني ولا ينام قلبي.

والثاني عن أنس بن مالك رضي الله عنهما وهو يحدث عن ليلة أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة: جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه- وهو نائم في المسجد الحرام- فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، وقال آخرهم: خذوا خيرهم فكانت تلك. فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه والنبي صلى الله عليه وسلم نائمة عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فتولاه جبريل، ثم عرج به إلى السماء. وهذا مما اختص الله به الأنبياء، وقول أنس رضي الله عنه لا يقال من قبل الرأي كما ذكر ابن حجر رحمه الله.

٢- يقبرون حيث ماتوا:

فلا يقبر نبي إلا في الموضع الذي مات فيه، وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لم يقبر نبي إلا حيث يموت». رواه أحمد في المسند وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣/٥٥).

ولذلك دفن النبي صلى الله عليه وسلم في المكان الذي مات فيه، وهو حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها، وكان هذا من قبيل الإجماع لأنه تم بمعرفة الصحابة الأخيار.

٣- يخيرون قبل الموت:

فعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة». السلسلة الصحيحة (٢/٣١٦)، وفي مرض موته صلى الله عليه وسلم كان يقول: مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فعلمت عائشة رضي الله عنها أنه خُيِّر. [كتاب

التفسير (١٣) من صحيح البخاري].

وملك الموت خَيَّرَ موسى عليه السلام، ففي الحديث: «جاء ملك الموت إلى موسى بن عمران، فقال له: أجب ربك، فقال: فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله، فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، وقد فقأ عيني، قال: فرد الله إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي، فقل: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما توارت يدك من شعره فإنك تعيش بعددها سنة، قال: ثم ماذ؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب. رواه البخاري ومسلم، وملك الموت جاء موسى عليه السلام في صورة بشرية في البداية، وقد بين العلماء فقه هذا الحديث، وصحة الخبر تعني، التصديق به وإعمال العقل في فهم المراد منه، لا في رده كما هو الحال فيمن قدموا العقل على النقل.

٤- أنهم أحياء في قبورهم:

صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الأنبياء أحياء في قبورهم، وحياة الأنبياء في قبورهم حياة برزخية لا نعلم كيفيتها، وليس معنى حياتهم في قبورهم جواز التوسل بهم بعد الموت، فلم يثبت ذلك عن السلف الصالح وليس من هديهم، ولقد مر النبي صلى الله عليه وسلم على موسى عليه السلام وهو قائم يصلي في قبره. [رواه مسلم كتاب الفضائل].

وفي صحيح البخاري أيضًا من طريق أبي هريرة رضي الله عنه في قصة الإسراء: «وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي، وإذا عيسى يصلي، وإذا إبراهيم قائم يصلي، وصنف الإمام البيهقي في ذلك رسالة «حياة الأنبياء في قبورهم»، وفي هذا يقول العلامة الألباني- رحمه الله-: «اعلم أن الحياة التي أثبتها هذا الحديث، إنما هي حياة برزخية، ليست من حياة الدنيا في شيء، ولذلك وجب الإيمان بها دون ضرب الأمثال لها ومحاولة تكيفيها وتشبيهها بما هو معروف عندنا في الحياة الدنيا». [السلسلة الصحيحة ج٢، ص١٩٠، ١٩١].

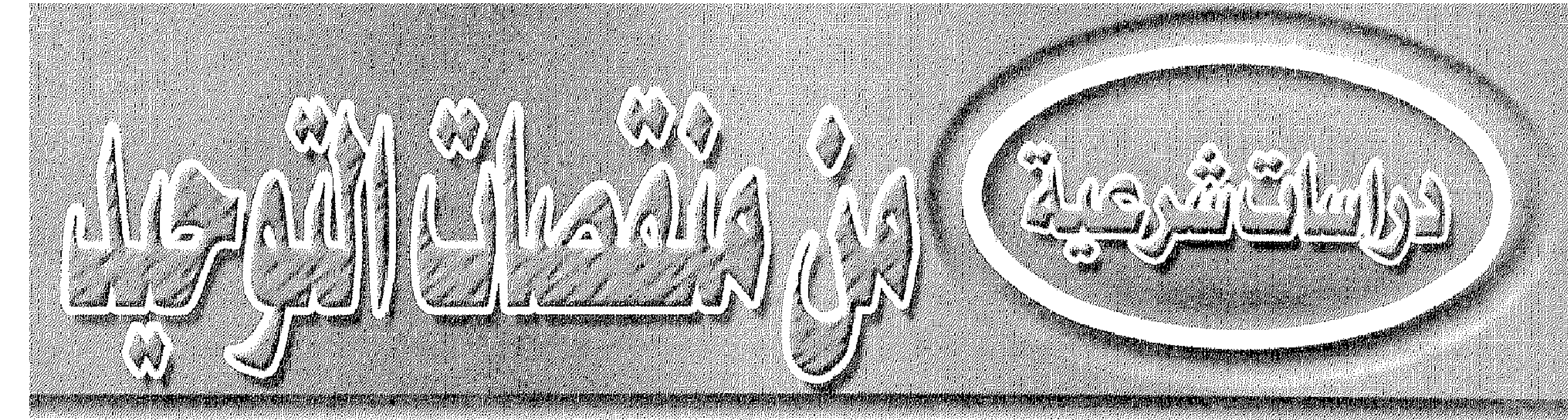
٥- وليس لأحد منهم إذا لبس لأمته أن يضعها:

ففي غزوة أحد، بعد أن شاور النبي صلى الله عليه وسلم صحابته البقاء بشأن الخروج لمواجهة العدو أو أن البقاء المدينة ومواجهة المشركين من داخلها، رأى البعض أن يخرجوا وكان غالبهم من شباب الصحابة، في حين رأى الشيوخ غير ذلك، فأشار البعض لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضع لأمة الحرب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما كان لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها».

٦- ليس لأحد منهم خائنة العين:

ففي قصة عبد الله بن أبي السرح الذي أباح النبي صلى الله عليه وسلم دمه في عام الفتح، لكنه جاء مع عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: أليس فيكم من كان يقتله ويريحنا من شره؟ قالوا: يا رسول الله، لو أومأت إلينا بعينك، قال: «ما كان لنبي أن تكون له خائنة عين».

والله من وراء القصد.



لفضيلة الدكتور
عبد الله بن عبد العزيز الجبرين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

قبل أن نبدأ في الكلام على الأمور المنقصة للتوحيد نذكر الفرق بين منقصات التوحيد ونواقضه:

تحدثنا في الحلقة السابقة عن الشرك الأصغر؛ تعريفه وحكمه، وذكرنا أول أنواع الشرك الأصغر (الشرك الأصغر في الأعمال أو العبادات القلبية) وذكرنا من أمثلة هذا النوع: الرياء، وإرادة الإنسان بعبادته الدنيا.

ونكمل إن شاء الله تعالى بعض أمثلة الشرك الأصغر في الأعمال القلبية.

ثالثا: الاعتماد على الأسباب

السبب في اللغة: الحبل، ويطلق على «كل شيء يتوصل به إلى غيره» استعير من الحبل الذي يتوصل به إلى نزع الماء من البئر.

وفي الاصطلاح هو: الأمور المحسوسة التي يفعلها الإنسان ليحصل له ما يريده من مطلوب، أو يندفع عنه ما يخشاه من مرهوب في الدنيا أو في الآخرة.

فمن الأسباب في أمور الدنيا: البيع والشراء أو العمل في وظيفة ليحصل على المال، ومنها: أن يطلب من سلطان أو غني مالا، لينفق منه على نفسه وعلى أولاده، ومنها: أن يستشفع بذي جاه عند السلطان ليسلم من عقوبة دنيوية، أو ليدفع عنه ظلمًا، أو لتحصل له منفعة دنيوية كوظيفة أو مال أو غيرهما، ومنها: أن يذهب إلى طبيب ليعالجه من مرض، ونحو ذلك.

ومن الأسباب في أمور الآخرة: فعل العبادات رجاء ثواب الله تعالى والنجاة من عذابه(1)، ومنها: أن يطلب من غيره أن يدعو الله له بالفوز بالجنة والنجاة من النار، ونحو ذلك.

والذي ينبغي للمسلم في هذا الباب هو أن يستعمل الأسباب المشروعة التي ثبت نفعها بالشرع أو بالتجربة الصحيحة، [قال شيخنا محمد بن عثيمين - رحمه الله - في القول المفيد، باب من الشرك ليس الحلقة ١٦٥/١ك «طريق العلم بأن الشيء سبب: إما عن طريق الشرع، وذلك كالعسل ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل:٦٩]، وإما عن طريق القدر، كما إذا جربنا هذا الشيء فوجدناه نافعًا في هذا الألم أو المرض، ولكن لابد أن يكون أثره ظاهرًا مباشرًا كما لو اكتوى بالنار فبرئ بذلك مثلا؛ فهذا سبب ظاهر بيّن، وإنما قلنا هذا لئلا يقول قائل: أنا جربت هذا وانتفعت به، وهو لم يكن مباشرًا، كالحلقة، فقد يلبسها إنسان وهو يعتقد أنها نافعة فينتفع لأن للانفعال النفسي للشيء أثرًا بينًا، فقد يقرأ إنسان على مريض فلا يرتاح له، ثم يأتي آخر يعتقد أن قراءته نافعة فيقرأ عليه الآية نفسها فيرتاح له ويشعر بخفة الألم، كذلك الذين يلبسون الحلق ويربطون الخيوط؛ قد يحسون بخفة الألم أو اندفاعه أو ارتفاعه بناءً على اعتقادهم نفعها، وخفة الألم لمن اعتقد نفع تلك الحلقة مجرد شعور نفسي، والشعور النفسي ليس طريقًا شرعيًا لإثبات الأسباب، كما أن الإلهام ليس طريقًا للتشريع»، وينظر مجموع الفتاوى ١٣٧/١]، كما ينبغي للمسلم أيضا مع استعمال الأسباب المشروعة أن يتوكل على الله تعالى، قال الحافظ ابن القيم في طريق الهجرتين (ص٣٣٥، ٣٣٦): «التوكل يجمع أصلين: علم القلب، وعمله، أما علمه: فيقينه بكفاية وكيله، وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك. وأما عمله: فسكونه إلى وكيله وطمأنينته إليه، وتفويضه وتسليمه أمره إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك، ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه، فبهذين الأصلين يتحقق التوكل، وهما جماعه»، واعتقاد أن هذا الأمر إنما هو مجرد سبب، وأنه لا

أثر له إلا بمشيئة الله تعالى، إن شاء نفع بهذا السبب، وإن شاء أبطل أثره. قال شيخنا محمد بن عثيمين في القول المفيد باب ما جاء في الرقى (١٨٤/١): «ومع وجود الأسباب الشرعية الصحيحة ينبغي للإنسان أن لا يعلق نفسه بالسبب، بل يعلقها بالله، فالموظف الذي يتعلق بمرتبه تعلقًا كاملا، مع الغفلة عن المسبب - وهو الله - قد وقع في نوع من الشرك، أما إذا اعتقد أن المرتب سبب، فهذا لا ينافي التوكل، وقد كان الرسول ﷺ يأخذ بالأسباب مع اعتماده على المسبب، وهو الله - عز وجل -».

أما إن اعتمد الإنسان على السبب فقد وقع في الشرك، لكن إن اعتمد عليه اعتمادًا كليًا، مع اعتقاد أنه ينفعه من دون الله فقد وقع في الشرك الأكبر، وإن اعتمد على السبب مع اعتقاده أن الله هو النافع الضار فقد وقع في الشرك الأصغر، فالمؤمن مأمور بفعل السبب مع التوكل على مسبب الأسباب جل وعلا.

وعليه فإن ترك الأسباب واعتقاد أن الشرع أمر بتركها، وأنها لا نفع فيها كذب على الشرع، ومخالفة لما أمر الله به وأجمع عليه أهل العلم، ومخالفة لمقتضى العقل، ولهذا قال بعض أهل العلم: «الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، وإنما التوكل والرجاء معنى يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع»(٢).

ومن الشرك في الأسباب: أن يجعل ما ليس بسبب سببًا، فإن اعتقد أن هذا السبب يستقل بالتأثير بدون مشيئة الله فهو شرك أكبر، كحال عباد الأصنام وعباد القبور الذين يعتقدون أنها تنفع وتضر استقلالا، وإن اعتقد أن الله جعلها سببًا، مع أن الله لم يجعلها سببًا فهو شرك أصغر؛ ومن أمثلته: التطير، والاستسقاء بالنجوم، وسيأتي بيانهما وبيان كونهما من الشرك في هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

المثال الرابع من أمثلة الشرك الأصغر في الأعمال القلبية: التطير

التطير: التشاؤم بمرئي أو مسموع أو غيرهما، أو هي: ما يتشاءم به من الفال الرديء، والشؤم: ضد اليمن، وهو عدم البركة.

ومن أمثلة التطير: ما كان يفعله أهل الجاهلية من أن أحدهم إذا أراد سفرًا زجر أو أثار طيرًا، فإن اتجه ذات اليمين تفاءل، فعزم على السفر، وإن اتجه ذات الشمال تشاءم، وترك هذا السفر، وقد كثر استعمال أهل الجاهلية للطيور في هذا الأمر حتى قيل لكل من تشاءم «تطير»، ومن أمثلة التشاؤم أيضًا: التشاؤم بسماع كلمة لا تعجبه كـ (يا هالك)، أو بملاقاة الأعور أو العجوز الشمطاء، أو برؤية الغراب، أو البوم، أو صاحب عاهة في أول سفره، أو في أول نهاره فيترك هذا السفر، أو يترك البيع والشراء في هذا اليوم، ومن أمثلته: التشاؤم ببعض الأشهر كصفر، والتشاؤم ببعض الأرقام كثلاثة عشر، كما يفعله كثير من أصحاب الفنادق والعمارات وغيرهم في هذا العصر، فتجد بعضهم لا يضع هذا الرقم في أدوار العمارة أو في المصعد أو في مقاعد الطائرات، ونحو ذلك تشاؤمًا.

والتطير محرم، وشرك أصغر. والسبب في كونه شركًا هو بسبب ما يعتقده المتطير من أن ما فعله من التطير كان سببًا في دفع مكروه عنه أو في جلب الخير له مع أنه سببٌ غير صحيح، وإنما هو من خرافات الجاهلية، ومما يزينه الشيطان في نفوس الجهال، فإذا وقع بعض ما تطيروا به في بعض الأحيان جعلهم الشيطان يتعلقون بهذا التطير ويظنون أنه صحيح، كما أن في هذا التطير نوعًا من الاعتماد على الأسباب في دفع الضر وجلب الخير، فهي أسباب باطلة شرعًا وعقلا، فهو قد اعتمد على سبب لم يجعله الله سببًا، وتعلق قلبه بهذه الأسباب الباطلة، كما أن في التطير اعتمادًا على هذه الأمور الباطلة في دعوى معرفة ما سيكون في المستقبل، وهذا الحكم إنما هو في حق من اعتقد أن ما تطير به جعله الله علامة على هذا الأمر المكروه أو سببًا في حصوله، أما من اعتقد أن هذا المتشاءم به يحدث الشر بنفسه ويفعله استقلالا، أو اعتقد أنه يعلم الأمر الذي سيقع في المستقبل ويخبر به، فهذا من الشرك الأكبر(٥).

ومثله: الفعل الذي يقدم عليه العبد أو يعزم عليه لرؤيته أو سماعه ما يسر به - كما سبق - ويستثنى منه الفال الحسن، وهو: أن يكون الإنسان قد عزم على أمر معين فيرى أو يسمع أمرًا حسنًا من غير قصد له، فيسر به ويستبشر به، ويزيده ذلك اطمئنانًا بأن ما كان قد عزم على فعله سيكون فيه خير وبركة بمشيئة الله تعالى، ويعظم رجاؤه في الله تعالى في تحقيق هذا الأمر، من غير اعتماد على هذا الفال، فهذا حسن، فالفال حسن ظن بالله تعالى،

ورجاء له، وباعث على الاستعانة به، والتوكل عليه، وعلى سرور النفس، وانشراح الصدر، وهو مسكن للخوف، باعث للآمال، والطيرة على النقيض من ذلك: فهي سوء ظن بالله، وتوكل على غيره، وقطع للرجاء، وتوقع للبلاء، وقنوط للنفس من الخير، وهو مذموم وباطل شرعًا وعقلا.

وقد وردت أدلة كثيرة تدل على بطلان التطير وتحريمه أما حديث ابن عمر الذي رواه البخاري (٤٠٩٤-٥٧٥٣)، ومسلم (٢٢٢٥) عن النبي ﷺ أنه قال: «لا عدوى ولا طيرة، وإن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس» ومثله حديث سهل بن سعد عند البخاري (٢٨٥٩)، ومسلم (٢٢٢٦) فالأقرب أن المراد بالشؤم في هذا الحديث وشواهده ما رجحه الإمام البخاري في صحيحه وغيره، ورجحه شيخنا عبد العزيز بن باز - رحمه الله - في بعض دروسه من أن المراد ما يكون في بعض أعيان هذه الثلاثة من الضرر المحسوس، كالمرأة السيئة الخلق، والدار الضيقة، أو السيئة الجيران، والفرس السيئة الطباع، ونحو ذلك، ومن ذلك ما ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطيرة شرك»(٦)، وتمامه: «وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل» وهذه التتمة من قول ابن مسعود رضي الله عنه كما في سنن الترمذي، والمعنى: وما منا أحد إلا وقد يعتريه التطير، وهذا يدل على أن ما يقع في القلب من التطير من غير قصد من العبد ولم يستقر في القلب معفو عنه، لكن إن ترتب عليه إقدام أو إحجام فهو محرم، ويؤيد هذا حديث معاوية بن الحكم عند مسلم (٥٣٧): قال قلت: ومنا رجال يتطيرون؟ فقال ﷺ: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصدنهم»، وفي رواية: «فلا يصدنكم».

ومما يدل على تحريم الطيرة أيضًا وإباحة الفأل: ما رواه عروة بن عامر، قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ، فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم: لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»(٧)، قال في فتح المجيد ص٥٢٢: «وقوله: (ولا حول ولا قوة إلا بك) استعانة بالله تعالى على فعل التوكل، وعدم الالتفات إلى الطيرة التي قد تكون سببًا لوقوع المكروه عقوبة لفاعلها، وذلك الدعاء إنما يصدر عن حقيقة التوكل الذي هو أقوى الأسباب في جلب الخيرات ودفع المكروهات»، وقوله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الحسن» قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم» رواه البخاري ومسلم(٨).

قال الحافظ ابن رجب بعد ذكره أن التشاؤم باطل شرعًا وعقلا، قال: «وفي الجملة فلا شؤم إلا المعاصي والذنوب فإنها تسخط الله - عز وجل - فإذا سخط على عبده شقي في الدنيا والآخرة كما أنه إذا رضي عن عبده سعد في الدنيا والآخرة، فالشؤم في الحقيقة هو معصية الله، واليمن هو طاعة الله وتقواه كما قيل:

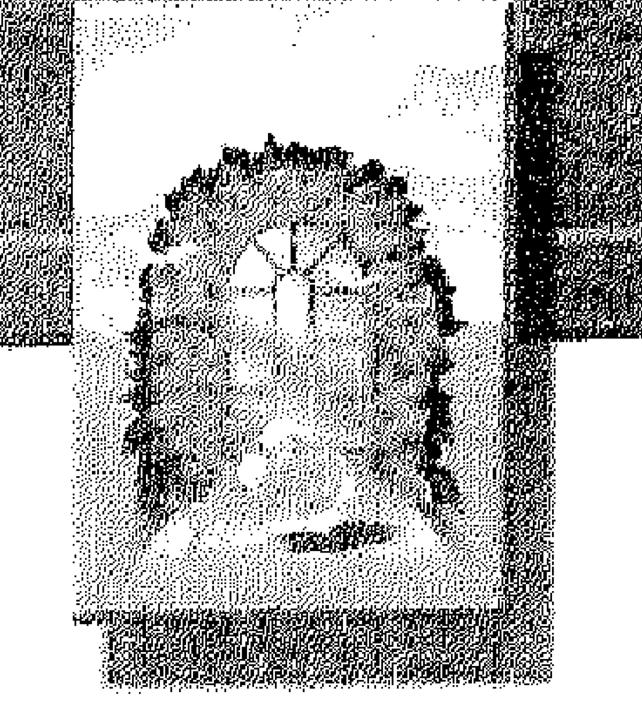
إن رأيًا دعا إلى طاعة الله

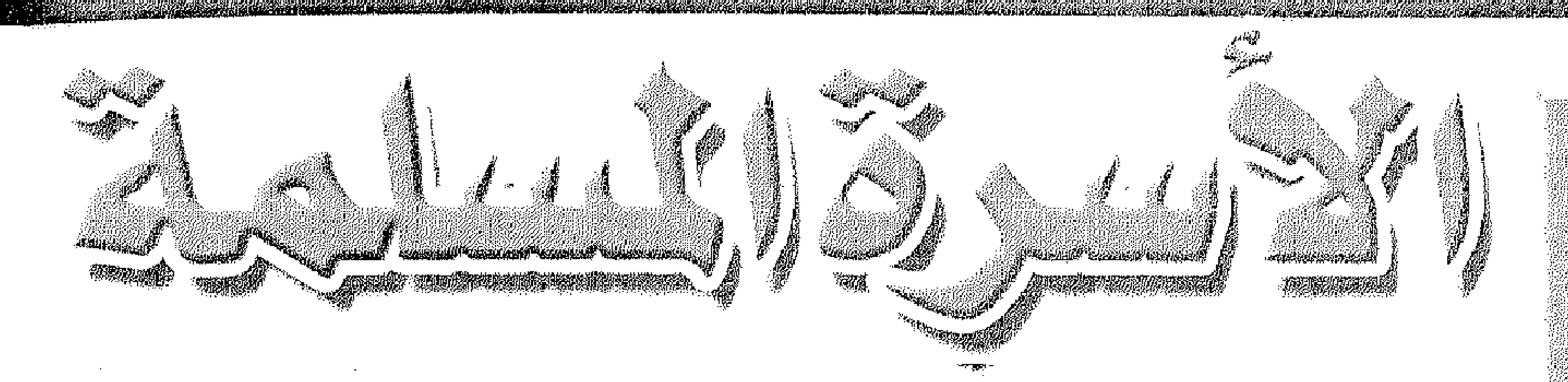
لرأي مبارك ميمون

والعدوى التي تهلك من قاربها هي المعاصي، فمن قاربها وخالطها وأصر عليها هلك، وكذلك مخالطة أهل المعاصي ومن يحسن المعصية ويزينها ويدعو من شياطين الإنس، وهم أضر من شياطين الجن، قال بعض السلف: شيطان الجن تستعيذ بالله منه فينصرف، وشيطان الإنس لا يبرح حتى يوقعك في المعصية، وفي الحديث: « المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»(٩)، وفي حديث آخر: «لا تصحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي»(١٠)، فالعاصي مشؤوم على نفسه وعلى غيره فإنه لا يؤمن أن ينزل عليه عذاب فيعم الناس ولا سيما من لم ينكر عليه عمله فالبعد عنه متعين، فإذا كثر الخبث هلك الناس عمومًا(١١).

هوامش:

(١) مجموع الفتاوى ١٧٥/٨، ١٧٦.
(٢) مجموع الفتاوى ١٦٩/٨، وينظر آخر مدارج السالكين ٥٢١/٣، وشرح الطحاوية: الدعاء ص ٦٧٩.
(٣) القول السديد باب من الشرك لبس الحلقة ص٤٥، ٤٦، القول المفيد باب الرقى ١٨٣/١، مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين ١٠٢/١-١٠٤، الشرك الأصغر ص١٣٥-١٤٧.
(٤) ينظر: الصحاح، والقاموس المحيط، والنهاية (مادة: طير)، إكمال المعلم ١٤١/٧، جامع الأصول ٦٢٨/٧.
(٥) ينظر: فيض القدير ٢٩٤/٤، القول المفيد ٥٧٧/١.
(٦) رواه الإمام أحمد (٣٦٨٧ تحقيق شاكر)، وأبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وقد صححه الترمذي، والحاكم، وصححه أيضًا الذهبي والعراقي كما في فيض القدير ٢٩٤/٤، وابن العربي في عارضة الأحوذي ١١٦/٧.
(٧) رواه أبو داود في الطب (٣٩١٩).
(٨) صحيح البخاري (٥٧٥٤)، وصحيح مسلم (٢٢٢٣) من حديث أبي هريرة.
(٩) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٩٥)، وابن حبان (٥٥٤)، وسنده حسن.
(١١) ينظر: لطائف المعارف: وظيفة شهر صفر ص٧٧.





الأسرة المسلمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد.

فإن الأسرة المسلمة التي رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، وآمنت بالله واليوم الآخر؛ تعرف أن التوحيد هو حق المجيد على العبيد، وأنه هو القول السديد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ [الأحزاب:٧٠].

وكلمة التوحيد كلمة طيبة مباركة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فثمارها لا مقطوعة ولا ممنوعة.

وعلى كل أسرة موحدة أن تجني ثمار التوحيد في الدنيا، وترجو جناها في الآخرة، فجنى الجنتين دانٍ، والبلدة طيبة والرب غفور.

والتوحيد الخالص هو الذي أوْرث في القلب لذي الجلال تعظيما وإجلالا، فهو المتفرد بتصريف الأمور تفصيلا وإجمالا، فلينفر عباد الله في سبيله خفافا وثقالا، مستقيمين كما أمرهم مولاهم لا يبغون عن ذلك حِوَلا ولا يرجون خبالا.

ثُلمة[1] عارضة في جدار أسرة موحدة

ها هي ذي أسرة مسلمة موحدة، يتسرب إلى بيتها أمر من الأمور المعقدة، أسرة وحَّدت المعبود بحق فقالت: لا إله إلا الله، ووحدت المتبوع بحق الذي يبلغ عن الإله الحق فقالت: محمد رسول الله، فلما تسرب إلى تلك الأسرة ذلك البلاء لجأت إلى رب الأرض والسماء، فسألت رسوله المبلغ عنه فوجدت الدواء، والحمد لله الذي كشف الهم وأزال الغم وأزاح البلاء، وعادت المودة ورجع السرور، وكفى الله تلك الأسرة الأخطار والشرور.

يروي البخاري ومسلم - رحمهما الله - في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: «يا رسول الله؛ إن امرأتي ولدت غلامًا أسود». ولا شك أن هذه في نظر هذا البعل - كارثة، فاستنكاره ولادة امرأته للغلام الأسود يدل على أن الرجل أبيض اللون وكذلك زوجته، ولو أن الرجل كان أسود اللون أو امرأته أو كليهما لما استنكر ذلك.

فعلم رسول الله ﷺ أن المشكلة حجمها كبير، وشرها مستطير، فكان لزامًا أن يجيب الرجل بجواب فصل، لأن المشكلة تجسدت في أن الرجل دخل إلى قلبه شكٌّ أن امرأته زنت، وأن الولد ليس ولده، وهذه مشكلة في غاية الصعوبة، وأمر لا تتحمله النفوس؛ خاصة أصحاب النفوس الحرة العفيفة، لكن لأن الرجل لم ير شيئًا على امرأته من قبل يريبه؛ ولم يعهد عليها خيانة بها تصيبه؛ فسكت وأسر أمره في نفسه ولم يُبدِه لها، وعلم أن من ثمار التوحيد أن يسأل من لا يعلم من يعلم، ويستشير الجاهل العالم، فالمستشير ما ندم، والمستخير ما خاب، والله تعالى يقول: ﴿ .. فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

فلما سأل رسول الله ﷺ أجابه الخبير صلوات ربي وسلامه عليه بقوله: «هل عندك من إبل؟» قال: نعم، قال: «ما ألوانها؟» قال: حُمْر، فقال ﷺ: «هل فيها من أَوْرَق[2]؟» قال: إنَّ فيها لَوُرْقًا، فقال ﷺ: «من أين جاء هذا؟» قال الرجل: لعله نَزَعَةُ عرق، فقال النبي ﷺ: «وهذا أيضا لعله نزعه عرق».

إن النبي ﷺ الذي ما سمعنا وما رأينا أحدًا أحسن تعليمًا منه، ولا أقدر

في ظلال التوحيد

إعداد
جمال عبد الرحمن

على معالجة المشاكل بالحكمة وبيسير الكلمات منه ﷺ جعل ينقل الأعرابي إلى قصة أخرى جديدة يعيشها هذا البدوي مع إبله ليلا ونهارًا، وهي تشبه قصته تماما مع ابنه وزوجته، وليس أحدٌ أَخْبَرَ بشأن الإبل من راعيها الذي يرعاها، ومربيها الذي يتولاها، ويشرف على نتاجها ذَكَرها وأنثاها، فصار الأعرابي هو المحدِّث والمجيب لرسول الله ﷺ عن أمر هو فيه خبير، وبه عليم وبصير، وسيقوده علمه وخبرته إلى حقيقة هو يعْلَمها ويعيشها، ويدلل عليها ويوقن بها، ثم بعد ذلك ينقله المصطفى ﷺ إلى قياس هذه على تلك، فلا يجد الرجل أمامه إلا أنَّ الإبل كما أنها مهما كانت حمراء فإنها تنتج الأسود الذي يكون نزعه عرق، أي اجتذبه جَدٌّ من أجداده إلى لونه الأسود فوُلِد أسود مثله؛ فكذلك الحال في البشر! فأيقن الأعرابي أن الغلام ابنه حقيقة، وأن امرأته بالبراءة من التهمة خليقة، فعاد إلى بيته مسرورا، مخلفًا شيطانه وراءه مذءومًا مدحورا، ولم يُعلِم امرأته بشيء مما دار بينه وبين سيد البشر، فهو لا يريد أن يخدش حياءها أو يرمي عرضها بشر، خاصةً وأنه لم يكن متيقنًا مما حاك في صدره، وجعله في حيرة من أمره.

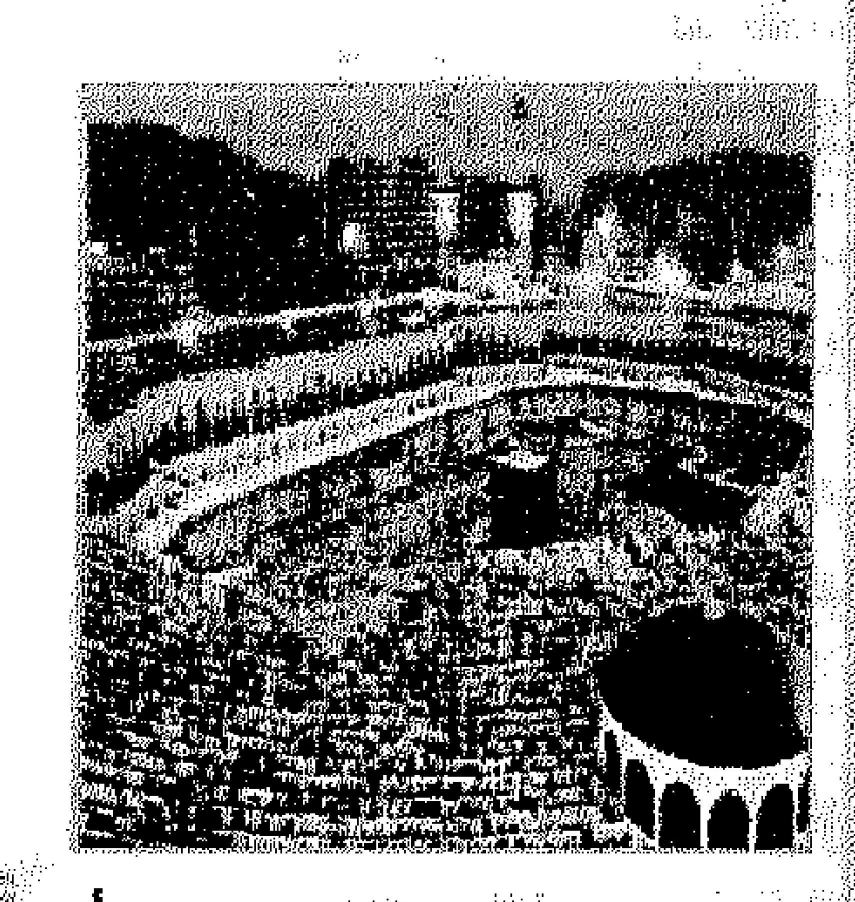
قال النووي رحمه الله في شرح الحديث: وفي ذلك إثبات القياس، وقياس النظير على النظير، وأن ذلك لا يُعد قذفًا. أهـ.

فلما جلَّى رسول الله ﷺ الحقائق؛ رجع إلى امرأته بصدر سليم غير ضائق، وهذا ثمرة التأني والحلم والتعقل وعدم العجلة؛ أن تُتدارك الأمور وتنزاح الشرور.

أما العجلة في اتهام الناس، وجرح شعورهم وطعن أعراضهم قبل اليقين ورفع الالتباس، فهذا سبيل الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، فيصيبون بجهالةٍ قومًا غير مذنبين، فيصبحون على ما فعلوا نادمين.

فليحذر أهل التوحيد اتباع خطوات الشيطان واستفزازاته، وليتجنبوا وعوده وإغراءاته، فما وعد إلا بغرور ورياء، وفقر وكبرياء، وما أغرى إلا بعداوة وبغضاء، عليه لعنة رب الأرض والسماء.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور:٢١].



وليعلم ولْيَعِ كل مسلم موحد أن المشكلات التي كانت تُعرض على رسولنا ﷺ مهما عظمت وكبرت وتلاطمت كأمواج البحر فإنها كانت تتكسر وتتفكك على ساحل الحكمة وبكلمات يسيرة ووقت قليل عند من علَّمه الله الكتاب والحكمة، وبُعث إلينا ليعلمنا الكتاب والحكمة، فهل نتخذ ذلك منهجًا وأسوة وقدوة؟ بدلا من القيل والقال، وتقليب الأقوال والأفعال، وما ذلك إلا خُلُقٌ من مَلَّ العبادة وأُورث الجدال، ونعوذ بالله من الخذلان.

المرأة المسلمة مراقبة لربها واثقة به

ذكر ابن كثير رحمه الله في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ... ﴾ [البقرة:٢٢٦]، قصة(٣) في المراقبة لله عز وجل والخوف منه وحده سبحانه، هذه القصة حدثت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته، وقد كان يعس بالمدينة كعادته، متفقدًا أحوال رعيته، فسمع امرأة كان زوجها خرج غازيًا في جيش عمر تقول:

لقد طال هذا الليلُ وازورَّ جانبُهْ
وليس إلى جنبي خليلٌ ألاعبُهْ
فواللهِ لولا اللهُ أنّي أراقبُهْ
لحُرِّكَ مِنْ هذا السريرِ جوانبُهْ
مخافةُ ربي والحياءُ يصدُّني
وإكرامُ بَعْلِي أنْ تُنالَ مراكبُهْ

قال ابن قدامة في المغني: فسأل عمر نساءً: كم تصبر المرأة عن الزوج؟ فقلن: شهرين، وفي الثالث يقل الصبر، وفي الرابع ينفد الصبر. وقال ابن حجر في تلخيص الحبير: فكتب عمر إلى أمراء الأجناد في رجال غابوا عن نسائهم أربعة أشهر أن يردوهم، ويُروى أنه سأل عن ذلك حفصة رضي الله عنها فأجابت بذلك. اهـ

فمراقبة تلك المرأة ربها وخشيتها إياه كانت حائلا دون دخول أجنبي عليها، وكذلك حبها ووفاؤها لزوجها، وحفظها إياه في غيبته وإكرام منزلته عندها، كل ذلك - وهو من صفات المرأة الصالحة - جعلها تحفظ نفسها عن غير زوجها، فلا ينال منها أحد إلا هو، ولا يطأ فراشها سواه، فهو الأحق بها.

وعليه فلتسقط الصداقات بين البنين والبنات من الشباب والشابات، فكلها صداقات محرمة لم يأذن بها رب الأرض والسموات، وكلها تشريع شياطين الجن والإنس، قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ... ﴾ [الشورى:٢١]

وليعلم كل من الصديق وصديقته الأجنبية عنه أن علاقتهما محرمة، من نظر وضحك ومصافحة، ورغبة شهوانية حيوانية جامحة، وتمنٍّ لنيل كل منهما من الآخر، ومحادثات في غير حاجة مشروعة؛ كل هذا مما حرم الله ورسوله ولن يجني أصحابها إلا الندم والخذلان، والعار والشنار.

وليعمل كل شاب وتعمل كل شابة على إرضاء الله، ثقةً بما أعدَّ الله لعباده الذين تابوا وآمنوا في الجنات من النعيم المقيم، وقرة العين التي لا تنفد، والسعادة واللذة التي لا تنقطع «وهم فيها خالدون».

وهذه هاجر أم إسماعيل، يأتي بها إبراهيم أبو الأنبياء صلى الله عليهم أجمعين، ومعها ابنها إسماعيل، فيضعهما إبراهيم عند البيت الحرام عند شجرة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسقاءً فيه ماء، ثم قَفَّى راجعًا منطلقًا فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟! قالت له ذلك مرارًا وهو لا يلتفت إليها!! فقالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذًا لا يضيِّعنا، والقصة بطولها في صحيح البخاري.

الله أكبر؛ حين ينطق أهل الإيمان بما وقر في القلب منه وصدَّقه العمل، وحين تكون العقيدة السليمة مفتاحًا لكل أمر منغلق، وحين يكون الفهم الصحيح - فهم السلف الصالح - دواءً ناجعًا، ونورًا ساطعًا، وخلقًا رائعا تطمئن به القلوب، وتسكن به النفوس، وتعلم أن الله تعالى لا يضيع أجر الصابرين، وأن رحمته قريب من المحسنين.

وهل ضيَّع سبحانه أم إسماعيل وهي بتلك البقاع القاحلة والمفاوز المهلكة؟ كلا والله، لقد أكرمها إكرامًا تتحدث عنه الخلائق عبر الدهور، والبلدة طيبة والرب غفور.

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم:٣٧]، قال الله: قد فعلت. والحمد لله رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين

هوامش:

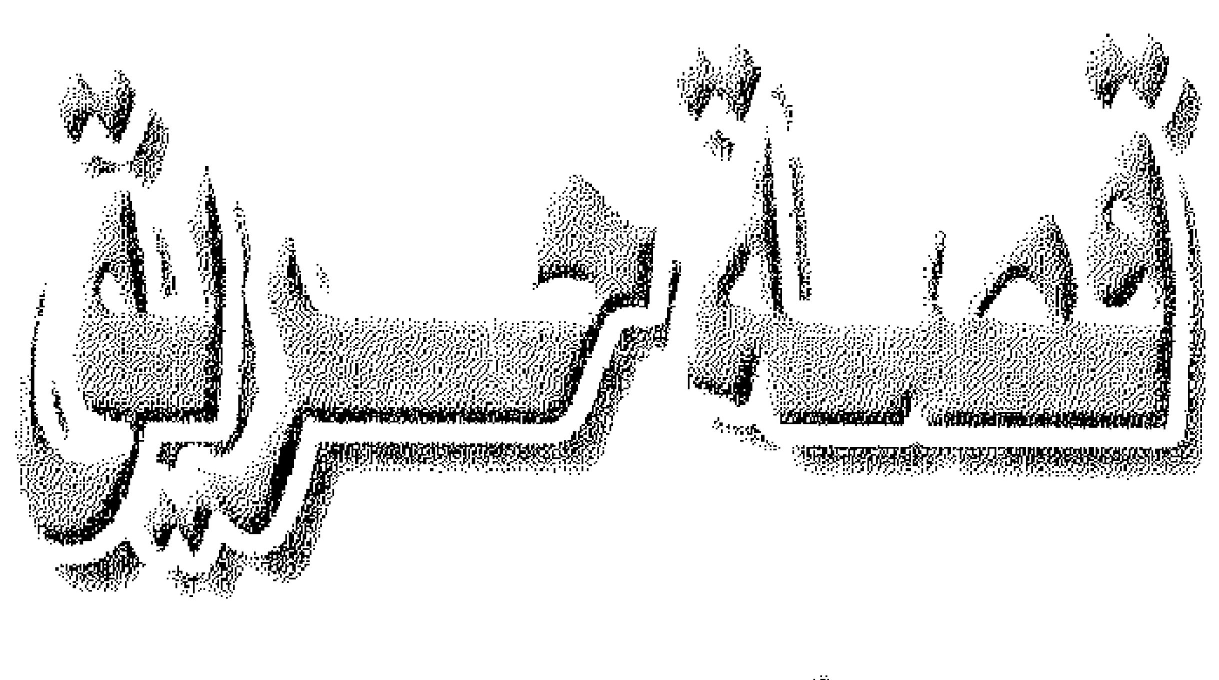
(١) الكُلْمة: هي الجرح.

(٢) الأورق: هو الأسود من الإبل أو الرمادي.

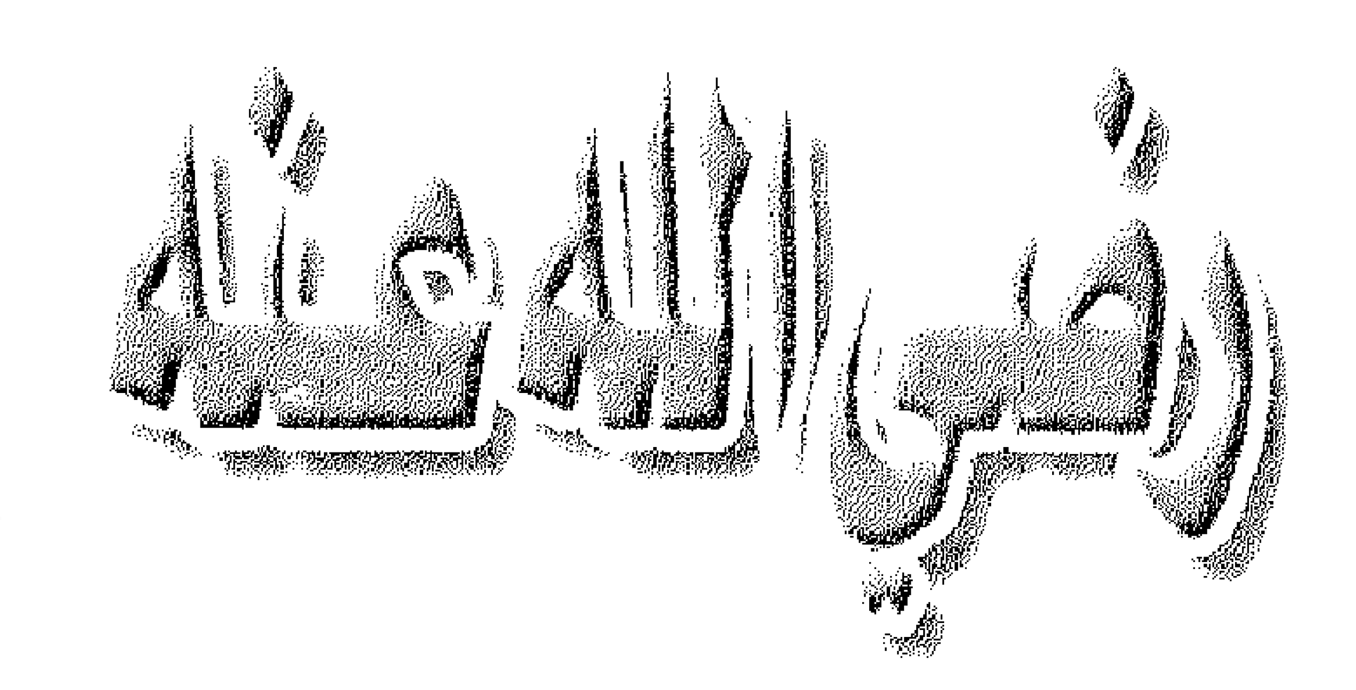
(٣) تلخيص الحبير لابن حجر ٢٢٠/١، المغني ٤١٦/٧.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة الثالثة والأربعون







إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص، وتناقلتها بعض الكتب المصنفة في الأدعية المأثورة.

وإلى القارئ الكريم تحقيق هذه القصة وتخريجها:

أولاً: متن القصة

روى عن طلق بن حبيب قال: جاء رجل إلى أبي الدرداء رضي الله عنه فقال: يا أبا الدرداء قد احترق بيتك. قال: ما احترق. قد علمت أن الله عز وجل لم يكن ليفعل ذلك لكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ من قالهن أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسي، ومن قالهن آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم.

ثانيا: التخريج

الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه ابن السني في كتابه «عمل اليوم والليلة» (ص٢٥) (ح٥٧)، والطبراني في «الدعاء» (٢/٩٥٤)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٢/٤٠١) من طريق هُدْبَة بن خالد حدثنا الأغلب بن تميم حدثنا الحجاج بن فُرَافِصَة عن طلق بن حبيب به.

ثالثا: التحقيق

هذه القصة واهية وسندها تالف وعلته: الأغلب بن تميم.

١- أورده الإمام البخاري في كتابه «التاريخ الكبير» (٢/٧٠/١٧٢٠) وقال: «أغلب بن تميم منكر الحديث». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند البخاري يدل على شدة الضعف حيث قال الإمام السيوطي في «التدريب» (١/٣٤٩): البخاري يطلق: فيه نظر، وسكتوا عنه فيمن تُركوا حديثه، ويطلق منكر الحديث على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

٢- أورده ابن حبان في «المجروحين» (١/١٧٥) وقال: «أغلب بن تميم منكر الحديث يروي عن الثقات ما ليس من حديثهم حتى خرج عن حدِّ الاحتجاج به لكثرة خطئه». اهـ.

٣- أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (١/٢٧٣/١٠٢١) وأقر قول الإمام البخاري، كذلك وأقر قول الإمام ابن حبان ثم نقل قول الإمام ابن معين في أغلب بن تميم بأنه ليس بشيء.

٤- أورده الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/١١٧/١٤٠) وقال: «حدثنا محمد قال: حدثنا عباس قال: سمعت يحيى يقول: أغلب بن تميم المسعودي بصري: سمعت منه، وليس بشيء»، ثم قال: «وليس يتابع». اهـ.

رابعا: طريق آخر للقصة لا يصلح للمتابعات أو الشواهد

روى عن الحسن قال: كنا جلوسًا مع رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فَأُتِيَ فقيل له أدرك دارك فقد احترقت فقال: ما احترقت داري، فذهب ثم جاء فقيل: أدرك دارك فقد احترقت،

فقال: لا والله ما احترقت داري، فقيل له: احترقت دارك وتحلف بالله ما احترقت، فقال :إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال حين يصبح ربي الله الذي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أشهد أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، أعوذ بالله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم لم يصبه في نفسه ولا أهله ولا ماله شيء يكرهه وقد قلتها اليوم، ثم قال: انهضوا بنا، فقام وقاموا معه فانتهوا إلى داره وقد احترق ما حولها ولم يصبها شيء».

خامسًا: تخريج هذا الطريق

هذا الطريق أخرجه الحارث في «مسنده» (٢/٩٥٣) (ح١٠٥٢) قال: «حدثنا يزيد بن هارون، ثنا معاذ أبو عبد الله قال: حدثني رجل عن الحسن به».

وأخرجه ابن السُّني في «عمل اليوم والليلة» (ص٢٥) (ح٥٨) قال: «أخبرني عبد الرحمن بن حمدان حدثنا الحارث بن أبي أمامة بن محمد حدثنا يزيد بن هارون به».

سادسًا: تحقيق هذا الطريق

١- القصة أيضًا من هذا الطريق واهية والسند مظلم لجهالة الراوي حيث قال: حدثني رجل عن الحسن «فالرجل هنا لم يسم، وهذا عند علماء الحديث يسمي «المبهم» حيث قال البيقوني في «منظومته» «ومبهم ما فيه راو لم يسم» فالحديث مردود وسبب رد روايته جهالة عينه. لأن من أبهم اسمه جهلت عينه وجهلت عدالته من باب أولى فلا تقبل روايته».

لذلك قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص١٣٥): ولا يقبل حديث المبهم ما لم يسم لأن شرط قبول الخبر عدالة راويه ومن أبهم اسمه لا تعرف عينه فكيف تعرف عدالته؟».

قلت: وهذا الطريق يزيد القصة وهنًا على وهن كما هو مقرر في علم المصطلح كذا قال ابن الصلاح في «علوم الحديث» (ص١٠٧)، وابن كثير في «مختصره» (ص٣٣)، والسخاوي في «فتح المغيث» (٢٤٢/١).

٢- قول الحسن: كنا جلوسًا مع رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فأتي فقيل له أدرك دارك فقد احترقت...».

قلت: فالمبهم هنا ليس هو أبا الدرداء لأن الحسن لم يجالس أبا الدرداء والشاهد على ذلك قول الإمام ابن أبي حاتم في كتابه «المراسيل» (ص٤٤) رقم ١٤٨: قال أبو زرعة: الحسن عن أبي الدرداء مرسل». اهـ.

قلت: وأقره الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٢٣٤/٢).

فائدة هامة

١- بهذا يتبين أن الراوي المبهم في السند جعل الصحابي أيضًا مبهمًا، وإن تعجب فعجب كيف يجلس الحسن مع رجل من أصحاب الرسول ﷺ وهو لا يعرف اسمه في مثل هذا الأمر الخطير وهو خبر حريق بيته.

وإبهام الصحابي ومجالسته للحسن يحتم أنه لم يكن هو أبا الدرداء لما بيّنا آنفًا بعدم سماع الحسن من أبي الدرداء، وعلى هذا تصبح هذه قصة أخرى لحريق بيت صحابي آخر اشتركت مع قصة حريق بيت أبي الدرداء في المعنى.

وهذا ما يسمى في المصطلح بالشاهد.

قلت: ولكنه شاهد لا يعتبر به حيث إن طريقه مظلم والراوي مبهم وكم تحت الإبهام من أمور عظام كشفت عن كذابين ومتروكين، كذلك والمشهود له هو قصة أبي الدرداء الواهية والتي لا يصلح لها شواهد لشدة الضعف التي بيناها آنفًا فكلا الطريقين لا يؤثر كونه شاهدًا أو مشهودًا، وعدم التأثير يدل على أن الشاهد ظاهري لا حقيقي.

٢- حاول البعض أن يجعل الصحابي المبهم في الطريق الآخر هو أبو الدرداء لتكون قصة الحريق لصحابي واحد.

وبهذا الصنيع يصبح الطريق الآخر مشاركًا للطريق الأول في المعنى مع الاتحاد في الصحابي وهذا ما يسمى عند الجمهور من أهل الفن «المتابع».

وهم بهذا الصنيع زادوا القصة وهنًا على وهن لأن هذا ليس متابعًا حقيقة لأنه لا يعتبر به حيث إن:

١- السند مظلم والراوي مبهم كما بينا آنفًا.

٢- الإرسال الخفي لأن الحسن لم يسمع من أبي الدرداء كما بينا أيضًا.

وبهذا يصبح طريق المتابع ظلمات بعضها فوق بعض، بين سقط خفي وإبهام ولا يصح مع السقط والإبهام متابعات تامة أو قاصرة، هذا بالنسبة للطريق الثاني.

٣- والطريق الأول لا يصلح أن يكون تابعًا أو متبوعًا لشدة الضعف التي بيناها آنفًا.

بهذا التحقيق تصبح قصة حريق بيت أبي الدرداء قصة واهية.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.



ميراث البنت

تسأل : ط. م. ع: من بني سويف :

هل للبنت حق في بيت أبيها بعد موته؟

والجواب: كان العرب في الجاهلية لا يورثون البنات ويعاملونهن معاملة سيئة كما ذكر ذلك القرآن الكريم ، لكن الإسلام أعطى المرأة حقوقها كاملة، ونالت فيه حظًا من التكريم والتقدير لم تنله من قبل ، ومن ذلك أن شرع لها حقًا في الميراث بنص القرآن كما جاء في قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ وللمراة السائلة أن تأخذ حقها من الميراث ولها التصرف فيه بالإبقاء أو البيع حسب الحاجة والمصلحة ويكون البيع بسعر يومه.

حكم الصلاة في مسجد بجوار قبر

يسأل : مصطفى طلعت من قرية سعود - مركز الحسينية - بمحافظة الشرقية عن حكم الصلاة في مسجد يقع قريبًا من مدافن المسلمين ، كما توجد مقبرة (ضريح) لأحد الناس بين هذه القبور؟

والجواب : نهى الإسلام عن اتخاذ القبور مساجد ، بل لعن ﷺ اليهود والنصارى لذلك ، ففي البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم توفي فيه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» والنهي عن بناء المساجد على القبور يستلزم النهي عن الصلاة فيها من باب أن النهي عن الوسيلة يستلزم النهي عن الغاية بالأولى والأحرى ، وقصد الصلاة في هذه المساجد من أجل القبور والتبرك بها يبطلها؛ لأنها عبادة لله صرفت لغيره سبحانه، ولكن في الحالة التي يسأل عنها السائل نرى - والله أعلم - أن الصلاة في المسجد الذي ليس فيه قبر، ويتخذ الآن منبرًا للدعوة وتوضيح العقيدة الصحيحة للناس جائزة.

الصلاة لغير القبلة

يسأل سائل - لم يذكر اسمه - عن جماعة يصلون في مسجد وإمامهم يتجه إلى القبلة ، ولكن المأمومين ينحرفون عنها شيئًا ؟

والجواب : نشكر أولاً السائل على شكره وثنائه على مجلة التوحيدوما تنشره من حق وخير ساهم في إثراء الدعوة الإسلامية ، ونقول في الجواب على سؤاله إن استقبال القبلة في الصلاة شرط من شروط صحتها ، وعليه فيجب على الإمام أن يبين ذلك للمأمومين ، وعلى المصلي أن يتقي ربه في هذه العبادة العظيمة ويؤديها كما أوجبها الله وبينها رسوله ﷺ.

حكم استعمال (البخاخة) لمريض الصدر في الصيام

وتسأل طبيبة عن حكم تناول مريض الصدر ما يسمى بـ «البخاخة» في الصيام ؟

والجواب : أن استخدام مريض الصدر «للبخاخة» لا يفطر بذلك للحاجة إليها، وأنها ليست في معنى الأكل والشرب، ولا تسمى أكلاً أو شربًا ، والله أعلم .

القراءة من المصحف في صلاة النوافل

تسأل سائلة عن حكم حمل المصحف في صلاة الليل ؟

والجواب : على المسلمين والمسلمات وجوب الاعتناء بكتاب الله عز وجل قراءة وتدبرًا وفهمًا ، والعمل بأحكامه وتطبيقه عمليًا في حياتهم ، وكان السلف يحرصون على ذلك ويهتمون بحفظ القرآن في صدورهم ليقفوا به بين يدي الله في صلاتهم ، ولو احتاج أحد إلى القراءة من المصحف في صلاة النافلة لإطالة القراءة فيها جاز له ذلك . قال الإمام أحمد: لا بأس أن يصلي بالناس وهو ينظر في المصحف . قال المرداوي في الإنصاف : وهذا المذهب وعليه أكثر الأصحاب ، وقطع به كثير منهم ، وقد ذكر البخاري في صحيحه تعليقًا بصيغة الجزم أن عائشة رضي الله عنها كان يؤمها عبدها ذكوان من المصحف .

حكم الدعاء بعد صلاة الفريضة

يسأل سائل عن حكم الدعاء بعد صلاة الفريضة؟

والجواب : لم يرد هذا عن النبي ﷺ ولم يكن من هديه ﷺ الدعاء بعد الفريضة، ولا روى عنه بإسناد صحيح ، ولا حسن ، وإنما كان ﷺ إذا سلَّم من صلاته استغفر الله ثلاثًا ، ثم قال : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، ثم يذكر بعد ذلك الأذكار الواردة عنه ﷺ ، ولكن هنا مسألة أشار إليها ابن القيم في الزاد ، وهي لو دعا عقب هذه الأذكار جاز له ذلك ويكون دعاؤه في هذه الحالة عقيب هذه العبادة الثانية ، وهي ما وقع منه من أذكار بعد الصلاة لا لكونه دبر الصلاة. والله أعلم .

حكم المصافحة بعد الصلاة

ويسأل : عن حكم المصافحة باليد بعد السلام من الصلاة مباشرة ؟

والجواب : أن هذا أيضًا لم يرد من فعل النبي ﷺ وهو من البدع التي أحدثها الناس واستحسنوها، مع التأكيد على استحباب المصافحة إذا لقي المسلم أخاه المسلم وكذلك المسلمة، ولكنه غير مشروع في هذا الموطن لأن المسلم عليه أن ينشغل فيه بالأذكار الواردة بعد السلام.

وضع اليدين حال التشهد

كما يسأل :

أين توضع اليدان في التشهد أثناء الصلاة؟

والجواب: أن النبي ﷺ كان إذا قعد في التشهد وضع كفه اليمنى على فخذه اليمنى ، وجاء في رواية أنه وضع كفه اليمنى على ركبته اليمنى، وكان يفعل في اليسرى مثل ذلك، وعليه فلو وضع المصلي كفه اليمنى على ركبته اليمنى أو على فخذه وفعل في اليسرى مثل ذلك ، أصاب السنة ، وكله صحيح وارد عن النبي ﷺ.

من زاد ركعة في صلاته سهوًا

يسأل شوقي صلاح الدين من كفر شكر - محافظ القليوبية :

عن رجل صلى الظهر خمس ركعات، وبعد التسليم أخبره أحد المصلين بأنه صلى خمس ركعات فاتجه للقبلة وسجد سجدتين للسهو ؟

والجواب : أن الصلاة صحيحة وسجوده للسهو بعد علمه به في محله ، وهو موافق لما جاء عن النبي ﷺ كما في حديث مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ خمسًا، فلما انفتل تشوش القوم بينهم، فقال : «ما شأنكم؟» قالوا: يا رسول الله ، هل زيد في الصلاة ؟ قال: «لا». قالوا: فإنك قد صليت خمسًا، فانفتل، ثم سجد سجدتين ، ثم سلم ، ثم قال: «إنما أنا بشر أنسى كما تنسون، فإذا نسي أحدكم فليسجد سجدتين».

والله أعلم.



أجاب عنها فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله

سجودة التلاوة وما يتعلق به

سئل: هل تشترط الطهارة في سجدة التلاوة؟ وما هو اللفظ الصحيح لهذه السجدة؟

فأجاب فضيلته بقوله: سجدة التلاوة هي السجدة المشروعة عند تلاوة الإنسان آية السجدة والسجدات في القرآن معروفة، فإذا أراد أن يسجد كبرٌ وسجد وقال: «سبحان ربي الأعلى»، «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»، اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه، وصوره، وشق سمعه وبصره بحوله وقوته. «اللهم اكتب لي بها أجرًا، وحط عني بها وزرًا، واجعلها لي عندك ذخرًا، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود». ثم يرفع بدون تكبير ولا سلام، إلا إذا كانت السجدة في أثناء الصلاة مثل أن يقرأ القارئ آية فيها سجدة وهو يصلي فيجب عليه أن يكبر إذا سجد ويجب عليه أن يكبر إذا قام، لأن الواصفين لصلاة النبي ﷺ ذكروا أنه يكبر كلما خفض ورفع، وهذا يشمل سجود صلب الصلاة، وسجود التلاوة.

وأما ما يفعله بعض الناس من كونه يكبر إذا سجد، ولا يكبر إذا قام والسجود في نفس الصلاة فلا أعلم له وجهًا من السنة، ولا من أقوال أهل العلم أيضًا.

وأما قول السائل: هل تشترط الطهارة في سجود التلاوة؟

فهذا موضع خلاف بين أهل العلم: فمنهم من قال: إنه لابد أن يكون على طهارة.

ومنهم من قال إنه لا يشترط وكان ابن عمر رضي الله عنهما يسجد على غير طهارة.

ولكن الذي أراه أن الأحوط أن لا يسجد إلا وهو على وضوء.

القراءة للمسبوق في الصلاة

سئل: إذا فاتت الركعة الأولى أو الثانية مع الجماعة فهل يقرأ القاضي لصلاته سورة مع الفاتحة باعتبارها قضاء لما فاته أو يقتصر على قراءة الفاتحة؟

أجاب: الصحيح أن ما يقضيه المأموم من الصلاة بعد سلام إمامه هو آخر صلاته، وعلى هذا فلا يقرأ فيه إلا الفاتحة إذا كان الفائت ركعتين، أو ركعة في الرباعية، أو ركعة في المغرب، أما في الفجر فيقرأ الفاتحة وسورة؛ لأن كلتا الركعتين تقرأ فيهما الفاتحة وسورة.

إخراج الزكاة ليس لها زمان معين

سئل: هل الصدقات والزكوات مختصة برمضان؟

أجاب: الصدقات ليست مختصة بشهر رمضان، بل هي مستحبة ومشروعة في كل وقت، والزكاة يجب على الإنسان أن يخرجها إذا تم حول ماله ولا ينتظر رمضان، اللهم إلا إذا كان رمضان قريبًا، مثل أن يكون حوله في شعبان فينتظر رمضان فهذا لا بأس به، أما لو كان حول زكاته في محرم مثلاً فإنه لا يجوز له أن يؤخرها إلى رمضان، لكن يجوز له أن يقدمها في رمضان قبل محرم ولا حرج، وأما تأخيرها عن وقت وجوبها فإن هذا لا يجوز؛ لأن الواجبات المقيدة بسبب يجب أن تؤدى عند وجود سببها ولا يجوز تأخيرها عنه، ثم إن المرء ليس عنده ضمان إذا أخر الزكاة عن وقتها وحينئذ تبقى الزكاة في ذمته، وقد لا يخرجها الورثة وقد لا يعلمون أنها عليه إلى غير ذلك من الأسباب التي يخشى على المرء إذا تهاون في إخراج زكاته أن تكون عائقًا عن إخراج زكاته.

أما الصدقة : فالصدقة ليس لها وقت معين ، فكل أيام العام وقت لها ، ولكن الناس يختارون أن تكون صدقاتهم وزكاتهم في رمضان ، لأنه وقت فاضل ، وقت الجود والكرم ، وكان النبي ﷺ أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ، لكن يجب أن نعرف أن فضيلة الزكاة أو الصدقة في رمضان فضيلة تتعلق بالوقت ، فإذا لم يكن هناك فضيلة أخرى تربو عليها ففي هذا الزمن أفضل من غيره ، أما إذا كان هناك فضيلة أخرى تربو على فضيلة الوقت مثل أن يكون الفقراء أشد حاجة في وقت آخر - أي غير رمضان - فإنه لا ينبغي أن يخصها برمضان ، بل الذي ينبغي أن ينظر إلى الوقت والزمن ، والغالب أن الفقراء في غير رمضان أحوج منهم في رمضان ؛ لأن رمضان تكثر فيه الصدقات والزكوات فتجد الفقراء فيه مكتفين مستغنين بما يعطون ، لكنهم يفتقرون افتقارًا شديدًا في بقية أيام السنة، فهذه المسألة ينبغي أن يلاحظها المرء ، وأن لا يجعل فضل الزمن مقدمًا على كل فضل .

هل تجوز خطبة الجمعة بغير العربية؟

سئل : ما حكم الخطبة بغير اللغة العربية؟

أجاب : الصحيح في هذه المسألة أن لا يجوز لخطيب الجمعة أن يخطب إلا باللسان الذي لا يفهم الحاضرون غيره، فإذا كان هؤلاء القوم مثلاً ليسوا بعرب ولا يعرفون اللغة العربية فإنه يخطب بلسانهم ، لأن هذا هو وسيلة البيان لهم، والمقصود من الخطبة هو بيان حدود الله سبحانه وتعالى للعباد ، ووعظهم وإرشادهم، إلا أن الآيات القرآنية يجب أن تكون باللغة العربية، ثم تفسر بلغة القوم، ويدل على أنه يخطب بلسان القوم ولغتهم قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] ، فبين الله تعالى أن وسيلة البيان إنما تكون باللسان الذي يفهمه المخاطبون .

حكم تأخير دفن الميت

سئل : ما رأيكم في من يؤخر الميت عن دفنه لأجل وصول بعض الأقارب من أماكن بعيدة ؟

أجاب : المشروع في الميت المبادرة والإسراع في تجهيزه ، لقول النبي ﷺ : «أسرعوا بالجنازة، فإن تك صالحة فخيرٌ تقدمونها إليه، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم». ولا ينبغي أن يؤخر الميت من أجل حضور بعض أهله ، اللهم إلا ساعات يسيرة، وإلا فالمبادرة في تجهيزه أولى ، وإذا جاء الأهل فإنه يمكنهم أن يصلوا على قبره كما فعله النبي ﷺ حين صلى على قبر المرأة التي كانت تقم المسجد ، فدفنوها ولم يخبروه فقال: «دلوني على قبرها». فدلوه فصلى عليها.

هل تصرف الزكاة في بناء المساجد؟

سئل : هل صرف الزكاة في بناء المساجد ينطبق عليه قوله تعالى في شأن أهل الزكاة : ﴿وَفِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ [التوبة: ٦٠].

أجاب : إن بناء المساجد لا يدخل في ضمن قوله تعالى : ﴿وَفِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ لأن الذي فسرها به المفسرون أن المراد في سبيل الله هو الجهاد في سبيل الله ؛ ولأننا لو قلنا : إن المراد في سبيل الله جميع وجوه الخير لم يكن للحصر في قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ فائدة ، والحصر كما هو معلوم إثبات الحكم في المذكور ونفيه عن ما عداه ، فإذا قلنا: إن ﴿وَفِي سَبِيلِ﴾ يعني جميع طرق الخير فإن الآية تبقى غير ذات فائدة بالنسبة لتصديرها بإنما الدالة على الحصر ، ثم إن في جواز صرف الزكاة لبناء المساجد، وطرق الخير الأخرى تعطيل للخير؛ لأن كثيرًا من الناس يغلب عليهم الشح ، فإذا رأوا أن بناء المساجد ، وأن طرق الخير يمكن أن تنقل الزكاة إليها نقلوا زكاتهم إليها، وبقي الفقراء والمساكين في حاجة دائمة .



المسابقة السنوية الأولى

في حفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره

تعلن إدارة شئون القرآن الكريم بالمركز العام عن مسابقة في حفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره على النحو التالي:

أولاً: فروع المسابقة

الفرع الأول: حفظ القرآن كاملاً مجودًا مع تفسير سورة الفاتحة والربعين الأولين من سورة البقرة.

الفرع الثاني: حفظ القرآن الكريم كاملاً مجودًا. الفرع الثالث: حفظ نصف القرآن الكريم مجودًا.

ثانيًا: شروط المسابقة

١- ألا يزيد عمر المتسابق في الفرع الأول والثاني عن ثلاثين سنة، وفي الفرع الثالث عن خمس وعشرين سنة.

٢- أن يسجل المتسابق بياناته من خلال فرعه الذي ينتمي إليه، ومن ثم يرسل الفرع أسماء المتسابقين إلى إدارة شئون القرآن الكريم بالمركز العام لأنصار السنة في بيانات مختومة بختم الفرع.

٣- آخر موعد لقبول أسماء المتسابقين وبياناتهم يوم الأربعاء ١١ شوال ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠٠٤/١١/٢٤م.

٤- يرفق المتسابق ما يثبت تاريخ ميلاده مع الأوراق المطلوبة.

٥- موعد إجراء المسابقة يوم الاثنين ٢٣ شوال ١٤٢٥هـ للمتسابقين بالفرع الأول، ويوم الثلاثاء ٢٤ شوال للمتسابقين بالفرع الثاني، ويوم الأربعاء ٢٥ شوال للمتسابقين بالفرع الثالث.

ثالثًا: جوائز المسابقة

المستوى الأول: الفائز الأول: ١٠٠٠ جنيه، الفائز الثاني: ٨٠٠ جنيه، الفائز الثالث: ٦٠٠ جنيه، الفائزون من الرابع إلى العاشر ٤٠٠ جنيه لكل فائز.

المستوى الثاني: الفائز الأول: ٦٠٠ جنيه، الفائز الثاني: ٤٠٠ جنيه، الفائز الثالث: ٢٠٠ جنيه، الفائزون من الرابع إلى العاشر ١٠٠ جنيه لكل فائز.

المستوى الثالث: الفائز الأول: ٨٠٠ جنيه، الفائز الثاني: ٦٠٠ جنيه، الفائز الثالث: ٤٠٠ جنيه، الفائزون من الرابع إلى العاشر ٢٠٠ لكل فائز.

مدير إدارة شئون القرآن

الشيخ / زكريا حسيني



يسر إدارة الدعوة والإعلام بعد أن أقامت بتوفيق الله وحده أكثر من مائة أسبوع علمي بفروع الجماعة بمصر من أسوان وأبي سنبل جنوبًا إلى دمياط شمالاً صيف هذا العام، أن تقوم أيضًا بعمل مسابقة للترقي علميًا بالداعية. وهذا ضمن مشروع النهضة الدعوية.

الجوائز

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ جنيه. من الثاني إلى العاشر: ٥٠٠ جنيه.

من الحادي عشر إلى العشرين: ٢٥٠ جنيه.

من الحادي والعشرين إلى الثلاثين: ٢٠٠ جنيه.

مع منح الفائزين الثلاثين شهادات تقدير.

شروط المسابقة

١- أن يتقدم الداعية من فرعه الذي يدعو من خلاله.

٢- يرسل الفرع كشفًا بأسماء الدعاة إلى إدارة الدعوة بالمركز العام.

مشروع المسابقة:

أولا: اختبار تحريري في

١- حفظ القرآن الكريم. ٢- تفسير وعلوم قرآن حول سورتي الكهف ومريم.

٣- فقه (أحكام الأسرة- الفرائض). ٤- عقيدة (من خلال العقيدة الواسطية).

٥- مصطلح حديث (شرح النخبة).

٦- الحديث حفظًا (٣٠٠) حديث (درر البحار) التي نشرت بمجلة التوحيد خلال الفترة الماضية.

موعد الاختبار التحريري ابتداءً من يوم الاثنين أول ذي القعدة ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠٠٤/١٢/١٣م والاختبار بالمركز العام الساعة الواحدة ظهرًا.

ثانيا: المقابلة الشفهية والجوائز بعد إعلان النتيجة.

والإدارة تتمنى للدعاة الرقي والفوز والتوفيق.

مدير إدارة الدعوة والإعلام

الشيخ/ علي إبراهيم حشيش

الفرقة والتمزق والاختلاف المذموم

إعداد/ صلاح عبد المعبود

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فإن من رحمة الله بعباده أنه يجازيهم على نواياهم الحسنة ويضاعف لهم الأجور ويجزيهم بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وقد فتح هذا الدين أبواب الخير لكل مجتهد ليصيب من فضل الله وعطائه على قدر توفيق الله تعالى له، فإن الله لا يمل حتى يمل العبد، وخزائنه ملأى لا تغيض ولا ينقصها إنفاق الليل والنهار.

والعباد كلهم أمام الله تعالى سواء كأسنان المشط، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وسنة الله في التعامل مع عباده هي العدل والرحمة، فليس هناك تفريق ولا محاباة.

وقد نهانا الرسول ﷺ عن احتقار المسلم وازدرائه، فقد روى الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم». وعندما سئل عن الكبر، قال: «الكبر بطر الحق وغمط الناس». رواه مسلم. أي الاستعلاء على الحق وعدم الخضوع له واحتقار الناس والحط من شأنهم.

والمؤمن يطلب لأخيه المعاذير، والمنافق يطلب الزلات، فمن تتبع عورة امرئ مسلم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في قعر بيته، روى الإمام أبو داود في سننه عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الأيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته». وذلك أن المسلمين جميعًا كالجسد الواحد يستر بعضهم على بعض، وينصر بعضهم بعضًا ويعين كل منهم أخاه، والله تعالى يستر على عباده عوراتهم ويغفر لهم ذنوبهم التي ارتكبوها سرًا وعلانية، وقد أمرنا بالصفح والعفو والستر ووعد على ذلك أعظم الأجر والثواب.

وإن تجريح الشرفاء واتهام الأبرياء بلية كبرى تبتلى بها الدعوة في ذات جنودها وحاملي لوائها، وهي أعراض واضحة على مرض القلب وقسوته، وتجريح الأشخاص واتهامهم بما ليس فيهم مبعثه الكبر والعجب وحب الرياسة والاستعلاء على الأشباه والأقران وهو داخل في نطاق الغيبة التي نهانا الله عنها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١١، ١٢]، وإن الشيطان لا يريد

للمؤمنين أن يجتمعوا على الخير والطاعة، ويتخذ لذلك شتى الطرق والوسائل ولا يتطرق اليأس إليه أبدًا، وكلما خسر في جولة حاول في أخرى، فهو تارة يلقي بينهم الجدل العقيم في فروع وجزئيات، وتارة يفتح عيونهم على أخطاء بعضهم ويضخمها أمامهم، وتارة يضيع أوقاتهم في البحث عن الزلات والسقطات ليضيع الحسنات ويبعثر الجهود، وإن الدعوة لدين الله توجب على صاحبها غض الطرف عن زلات إخوانه، وتفرض عليه إقالة عثراتهم والتعاون معهم فيما اتضح من الحق، والتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عند الاختلاف، والخضوع للحق ولو كان ذلك على حساب التراجع عن فساد الرأي، فالحق أحق أن يُتبع، وإن الدعوة لا تبتلى بشيء أضر وأسوأ من اتهام الأشخاص بعضهم لبعض وانتقاص كل منهم من شأن أخيه والتحقير من عمله ومحاولة الارتفاع على أنقاضه، ولا يحدث هذا إلا عند غياب الغاية والهدف والتواء المقاصد والنوايا فتضيع بذلك الأوقات والأعمال، ويبوء العبد بالخيبة والخسارة في الدنيا والآخرة.

إن من الآفات السيئة التي وقفت في طريق السالكين من المؤمنين الصادقين كثرة التطاحن والحروب بين المسميات المختلفة والاتجاهات المتباينة رغم أن الهدف واحد، أما الوسيلة فهناك مندوحة وفسحة ليعمل كلٌ على قدر طاقته، وكان من نتيجة ذلك الداء العضال:

١- التعصب الأعمى لمجرد المسميات، وحصر الدين تحت راية أو إشارة محددة، فينضوي كل فريق تحت رايته ويعادي من خالفه ولم يتابعه، فمن كان معه فهو أخوه ومعينه، ومن لم يكن معه فهو عدوه وخصمه!

ب- تقديس بعض الأشخاص ورفعهم إلى مصاف المعصومين الذين لا يخطئون ولا يُسألون عما يفعلون، ولا ينبغي أن يراجعهم أحد، وهذا أمر له خطورة شديدة على العامة والخاصة، فخطرها على الخاصة ينحصر في الشهوة الخفية والرياء والسمعة وحب الرياسة والترفع على خلق الله، ولقد علمنا ديننا أن كل إنسان يؤخذ من قوله ويُرد إلا رسول الله ﷺ، فإنه لا ينطق عن الهوى، أما سائر المسلمين فإنهم ليسوا بمعصومين أو فوق الخطأ بل الكمال لله وحده والعصمة لرسوله ﷺ، وأما خطرها على العامة فيتمثل في الطاعة العمياء، والمسلم ليس ترسًا في آلة يتحكم فيها إنسان آخر كيفما يريد، بل دعانا الإسلام إلى التثبت من الخبر والتريث قبل الإقدام والعمل، فليس في ديننا طاعة عمياء، بل الطاعة في المعروف، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وهكذا يربي الإسلام أهله على اليقظة والفطنة، فلا عمى ولا خداع، وقد نعى الله على أهل الكتاب اتباعهم أحبارهم ورهبانهم في ظنونهم وأهوائهم، وقد نهى النبي ﷺ عن الانسياق الأعمى والطاعة على غير هدى وبينة والتثبت من الأمور قبل الإقدام على أي حركة وفعل، فقد روى الترمذي في سننه عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يكن أحدكم إمعة، يقول: إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءاتهم». وهذا هو مسلك

المؤمنين من حيث الاتباع، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا طاعة إلا في المعروف، ولا سمع ولا طاعة فيما سوى ذلك.

لقد جنى على الدعوة أفراد استقلوا برأيهم وصموا آذانهم عن سماع النصح من إخوانهم واستبدوا برأيهم ولم يسمعوا إلا صوت أنفسهم، فأثمرت ذلك التباغض والتحاسد وتنافر القلوب وضيق الصدور.

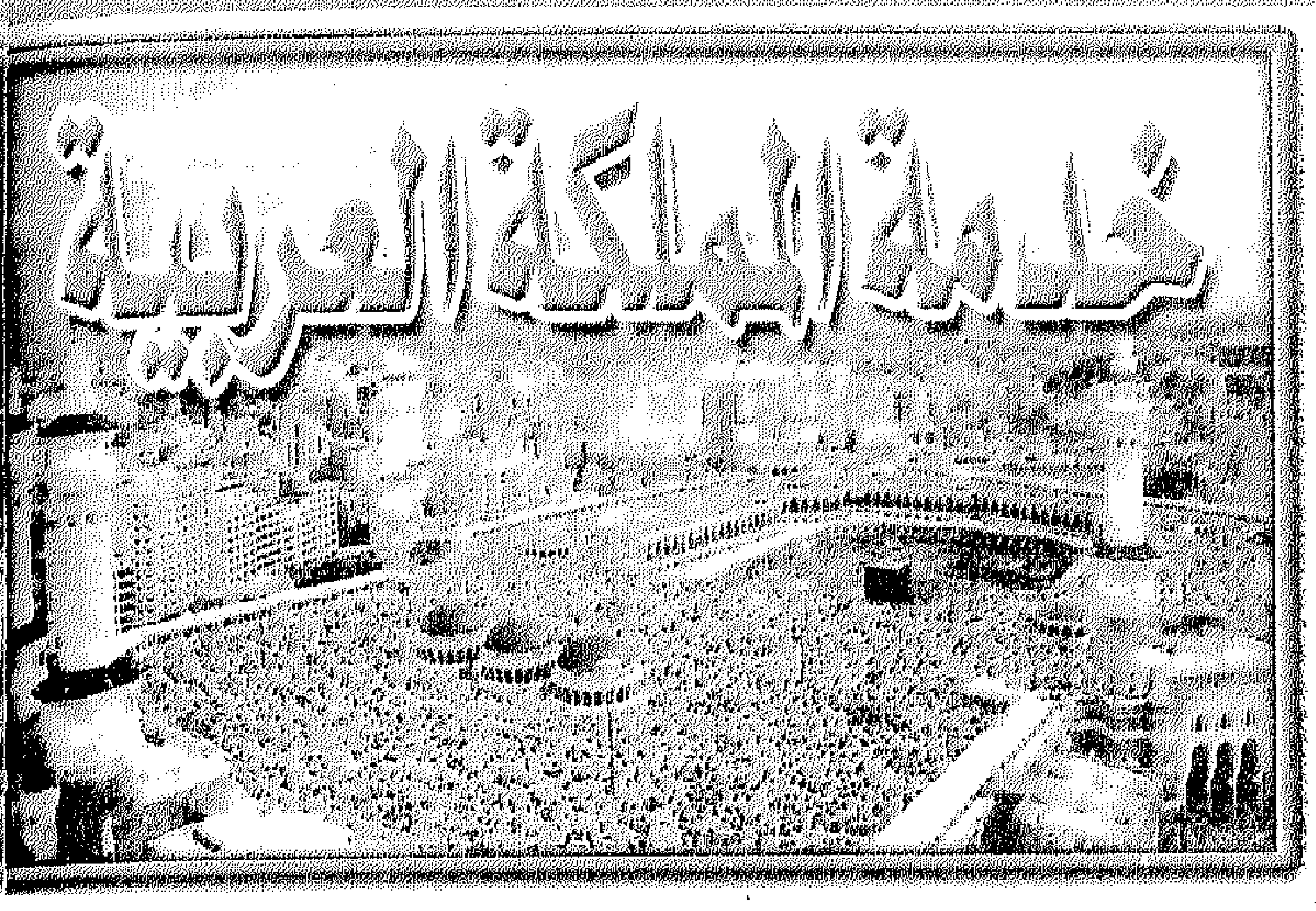
جـ- امتلاء القلوب بسائر الأمراض والعلل كالحقد والغل والكبر والبغضاء وترصد الأخطاء والتربص بالزلات والتشهير والتجريح، وهذه ثمار بدهية عندما يكون منبع الخلاف هو الهوى والإعجاب بالرأي، فإن القلب عندما يتشرب الهوى يسودّ ويقسو ويصبح مرتعًا وخيمًا لكل آفة وعلة، والعجب أن البعض يسعى وراء الحق ليعرفه ولكنه لا يقبله إلا من شيخه هو أو من أتباعه وأشباهه في جماعته، فإذا سمعه من آخر يختلف معه في نمط العمل وأسلوبه إذا به ينفر منه ويصم أذنيه ولا يقبل منه شيئًا، وهنا يتضح أن البحث من أساسه لم يكن للوصول إلى الحق، وإلا لقبله من أي جهة ومن أي فم نطق به، ولكن القضية أصبحت قضية هوى لا قضية دين، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يتعدى إلى التجريح والتقليل من شأن الآخرين واحتقار أعمالهم، وهذه بلية كبرى أن يحقر المسلم عمل المعروف وإن قل، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق». رواه مسلم.

د- ضياع الحق نتيجة الهوى والانتصار للرأي، والحق محفوظ بعناية الله إلى قيام الساعة، ولكنه يضيع من حياة المسلمين ومن واقعهم ويغيب عن حياتهم بغفلتهم عنه ونسيانهم إياه، وإن لم يضع فإنه يختلط بغيره أو تكون عليه غشاوة، فلا تستطيع الأبصار الكليلة أن تراه بوضوح وجلاء نتيجة لضعف الإيمان والتقوى.

هـ- انسداد التفاهم والتلاحم بين ذوي الآراء المختلفة، ونتج عن ذلك الشقاق والتمزق وهي بداية الهزيمة: ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، وتلك ثمرة مرة لتنافر القلوب وانعدام التفاهم والانسجام المطلوب بين أهل الإيمان، فالبديهي أن تذوب بينهم الفواصل والفوارق وأن يصلحوا ذات بينهم ويعيشوا بالحب والمودة وسلامة الصدر، فليس هناك مثل تقارب القلوب، فإنها من أكبر العون على النصرة والتأييد وعون الله تعالى، ومما يؤثر أن النبي ﷺ قد أوتي علم ليلة القدر وهمّ أن يخرج ليبلغ أصحابه بها، فقال لهم: «إني قد أوتيت علم ليلة القدر ثم تلاحى فلان وفلان فأُنسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان». فالشجار والخلاف كان سببًا في رفع العلم ونسيانه.

وإن الحالقة التي تحلق الدين والإيمان هي فساد ذات البين، وهذا الأمر كان يحرص النبي ﷺ على تفاديه واجتنابه وتحذير أصحابه منه.

وأخيرًا: إن التفاهم والترابط واتفاق القلوب هو طبيعة هذا الدين التي يصبغ بها معاملات أتباعه، أما التباغض والتعاند والتحاسد والحقد والغيرة، فما هي إلا أمور طارئة يبثها الشيطان بين المؤمنين ليفرق كلمتهم ويوقع بينهم العداوة والبغضاء.. فهلاً انتبهنا.



بقلم/ د. عبد الله شاكر الجنيدي

نائب الرئيس العام

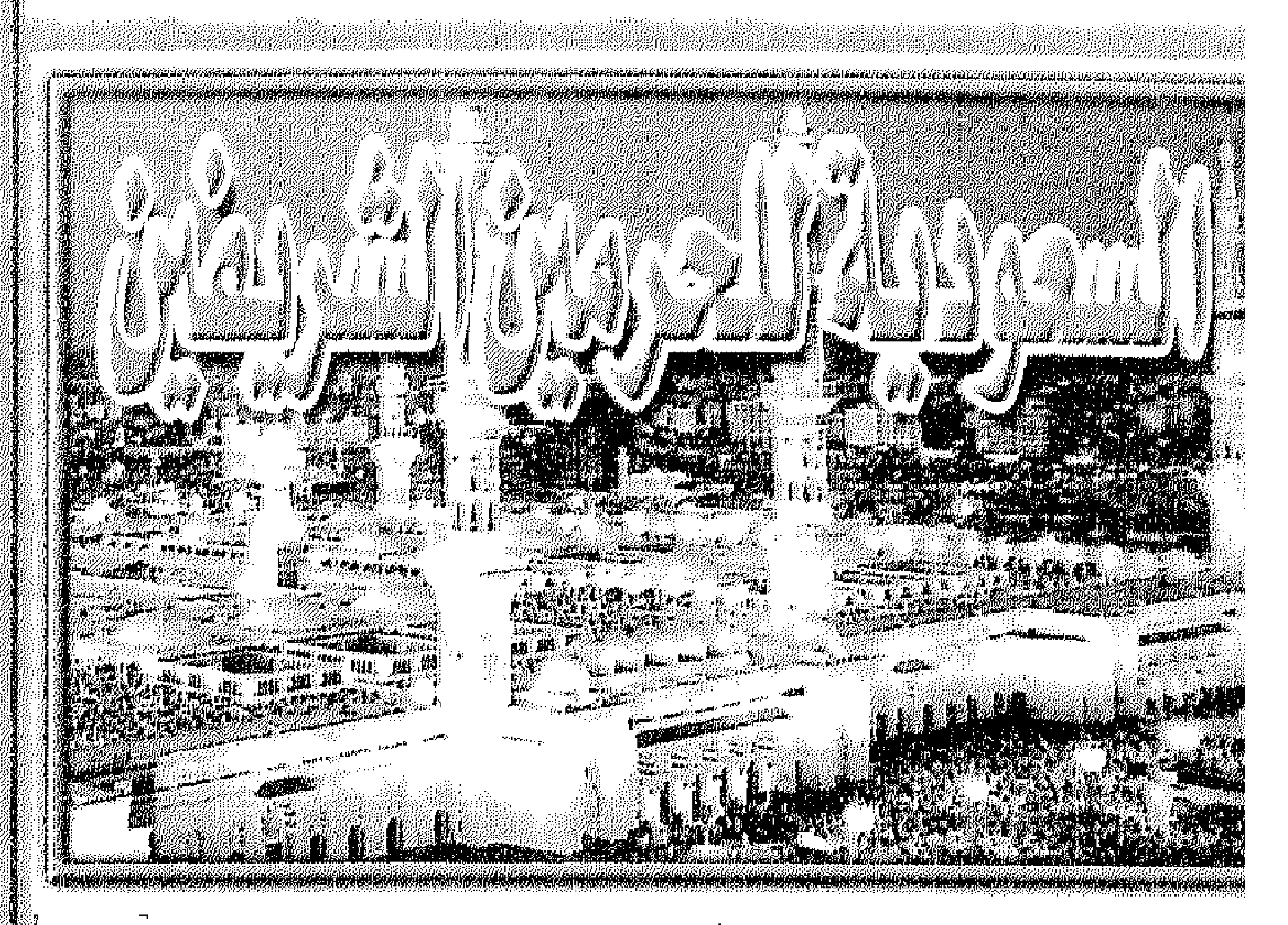
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على الصادق الأمين وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين... وبعد:

فمن المعلوم أن المساجد بيوت الله في أرضه، يقوم فيها العابدون لله عز وجل الذين أثنى عليهم في قوله: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وهي مكان العبودية الخالصة لله سبحانه: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، فرسالة المسجد إذًا رسالة توحيد وتربية وإعداد وتهذيب وسمو بالروح ورفعة للأمة إلى أن تكون ربانية تأمر بأمر الله وتنفذ دينه وشرعه، ولهذا كانت للمساجد في الإسلام مكانة عظيمة، ويظهر ذلك بوضوح للمتأمل في الآيات السابقة، وللمساجد الثلاثة بصفة خاصة التي شرع الإسلام شد الرحال إليها مكانة أعلى وأعظم لتضاعف الأجر والثواب فيها على غيرها، وأفضلها على الترتيب: المسجد الحرام، ثم المسجد النبوي، ثم المسجد الاقصى.

وقد اهتمت حكومة المملكة العربية السعودية بالمساجد بصورة عامة وبالحرمين الشريفين بصورة خاصة، فمنذ عهد الملك عبد العزيز- يرحمه الله- إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز- يحفظه الله- والمملكة تولي أهمية كبيرة لخدمة الحرمين الشريفين وتوفير كل سبل الراحة لحجاج البيت الحرام، وزائري مسجد الرسول الكريم ﷺ.

وهذه إشارة سريعة إلى بعض جهود المملكة الدالة على عنايتها بالحرمين الشريفين:

ففي عام ١٣٦٨هـ أعلن الملك عبد العزيز- رحمه الله- بيانًا عامًا وجهه للعالم الإسلامي يعلن فيه عزمه على توسعة الحرمين الشريفين، وبدأت الدراسات والاستعدادات للقيام بهذا المشروع، غير أن المنية وافته- رحمه الله- في سنة ١٣٧٣هـ قبل أن يكمل ما أراد، فخلفه عليه نجله الملك سعود- رحمه الله- وبدأ العمل الفعلي في التوسعة الأولى للمسجد الحرام في ربيع الآخر ١٣٧٥هـ، وقد تم في هذه المرحلة بناء المسعى بطابقيه بطول ٣٩٤,٥ مترًا، وعرض ١٢٠ مترًا، وارتفاع الطابق الأول ١٢ مترًا، وجعل للمسعى ممران في اتجاهين مع ممر في اتجاهين للساعين على الكراسي المتحركة، وقد تابعت المملكة العناية والاهتمام بخدمات ومرافق المسجد الحرام، حتى عهد خادم الحرمين الشريفين- يحفظه الله- الذي أمر بالتوسعة السعودية الثانية وتشرف بوضع حجر الأساس لتلك التوسعة في ٩ صفر ١٤٠٩هـ، وتعد هذه التوسعة أكبر توسعة تمت للمسجد الحرام في التاريخ كله، وأصبح المسجد بعدها



يستوعب عددًا كبيرًا من الحجاج والمعتمرين كل عام، كما نال المسجد النبوي الشريف حظه من العناية والاهتمام من لدن هذه الدولة المباركة، حيث بدأت الدراسات اللازمة لتوسعته في عهد الملك عبد العزيز- رحمه الله- وفي بداية عام ١٣٧٣هـ تم هدم الأبنية المحيطة بالمسجد وبدأ الحفر لمشروع التوسعة، وقد تفضل الملك سعود- رحمه الله- بوضع حجر الأساس إيذانًا ببدأ العمل، وذلك في حفل كبير حضره ممثلون عن الدول الإسلامية وسفرائها وجموع كبيرة من المواطنين.

واستمرت المملكة في عنايتها بالمسجد النبوي حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز- وفقه الله- الذي شهد أعظم وأكبر توسعة له، وقام وضع حجر الأساس لهذا المشروع في صفر ١٤٠٥هـ، وتم في سنوات قليلة إقامة هذا العمل الضخم بعد جهد كبير وعمل متواصل، وأصبح المسجد وما تم حوله من خدمات ومرافق نموذجًا كريمًا على خدمة المملكة الجليلة لهذا المسجد المبارك، فشكر الله للمملكة صنيعها ووفقها لكل خير، وحفظ الله أرضها وشعبها وحكومتها من كل سوء ومكروه، والله ولي التوفيق.

من مآثر عاهل السعودية الملك عبد العزيز آل سعود وسجاياه

إعداد/ فتحي أمين عثمان، وكيل الجماعة.

جماعة أنصار السنة المحمدية منذ نشأتها الأولى تحب صاحب الجلالة إمام أهل السنة في هذا العصر، الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، لما له من أفضال على العلم والعلماء.

يقول الشيخ محمد حامد الفقي: أصدرت مجلة الهدي النبوي عام ١٣٥٦هـ، وهي أخت «الإصلاح» التي كنت أصدرتها زمن الإمام المصلح والملك الراشد المخلص عبد العزيز آل سعود.

-كما قال الشيخ محمد حامد الفقي عن جلالته أيضًا عام ١٣٧١هـ عندما أصدر الشيخ أحمد شاكر «المسند» للإمام أحمد بن حنبل: «ثم كان من توفيق الله وحسن صنيعه (لهذا الكتاب الحجة) أن حضرة صاحب الجلالة وإمام أهل السنة في هذا العصر شمله رعايته السامية الكريمة، حبًا في نشره وتقربًا إلى الله لعموم النفع به، فأصدر أمره العالي بطبعه

على خير ما يستطاع من الإخراج والإتقان».

-كما قالت مجلة الهدي النبوي بقلم مدير المجلة في عام ١٣٧١هـ عندما طبع الشيخ حامد كتاب «جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ»: «ولقد كانت هذه المعلمة كنزًا مدفونًا، والناس في أشد الحاجة إليه، حتى تفضل جلالة الملك الصالح الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود فأصدر أمره الكريم بطبعه، فأذن للشيخ محمد حامد الفقي في أن يطبع منه ما ينتفع به الناس، فجزى الله جلالة الملك خير الجزاء، وأدام عليه سوابغ العافية والتوفيق لنشر السنة ومحاربة البدعة، وأبقاه عزًا للعرب، موئلا للمسلمين».

هذا ولم يقتصر حب العلم والعلماء والإنفاق على نشر الكتب التي تصحح عقيدة المسلمين على جلالته بل كان لأبنائه أصحاب السمو الملكي دور كبير.

فقد نشر الشيخ محمد حامد الفقي في مجلة الهدي مجلد ١٣٧٠هـ نعيًا للأمير منصور بن عبد العزيز ذكر فيه جانبًا من مآثره في طبع الكتب قال فيه: «كان عطوفًا على طلبة العلم، يبذل لهم من ذات نفسه ومن ذات ماله ما يطلق ألسنتهم بالدعاء، وكان يجمع في موسم الحج العلماء إلى وليمة ويجلس معهم بعدها مجلس إخوة ومودة، ويباحث معهم أي الكتب أنفع للناس فيأمر بطبعها وتوزيعها».

فمن مآثره في ذلك طبع كتاب الشريعة للآجري، وكتاب الاختيارات، وكتاب اقتضاء الصراط المستقيم، وكتاب نظرية العقد، وكلها لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولا يزال تحت الطبع بأمره كتب كثيرة. اهـ.

أما عن تكريمه للعلماء: فلا يحيط به حصر ويكفي أن يراجع الإنسان ما كتبه الشيخ محمد حامد الفقي في مجلة الهدي النبوي تحت عنوان «كنت في الرياض العامرة، وذلك عام ١٣٧٠هـ من شرف لقاء جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، حيث استقبله في رفقة سماحة الشيخ إمام عصره محمد بن إبراهيم»، فقد كتب الشيخ: استأذن الشيخ في الانصراف فأذن له جلالة الملك- حفظه الله وأبقاه- وحين تشرفت بمصافحة جلالته للانصراف مع الشيخ محمد بن إبراهيم، تفضل جلالته ونادى صاحب السمو الملكي الأمير سعود- ولي عهده المعظم- وقال له وقد أخذ بيدي: «أكرم أخاك».

ما أكبرها وأجلها من كلمة تجمع في النفس كل ما عرف من تراحم السلف الصالح وجود وكرم العروبة المحضة.

-ومن مآثره في رعاية أسر العلماء بعد وفاتهم ما كتبته مجلة الهدي النبوي سنة ١٣٧٠هـ على لسان عبداللطيف أبو السمح عندما مات والده الشيخ أبو السمح إمام الحرم المكي فقد كتب يقول:

«ذلك القلب الكبير هو قلب جلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود بارك الله للمسلمين في حياته، وتلك اليد البارة هي يده الكريمة ذات الإحسان والبر، وتلك الشيمة العربية: هاشيمة آل سعود الأمجاد، بعث جلالة الملك المعظم برقية، أجرت الألسن بالدعوات، يقول جلالته في برقية التعزية في الشيخ أبو السمح: مصابكم مصابنا، وقد أصدرنا أمرنا إلى وزارة المالية بأن كل ما كان جاريًا لوالدكم في حياته من راتب وخلافه، يجري لكم جميعًا، كما أمرنا بترحيل باقي عائلته من مصر إلى الحجاز».

ومن مآثره في بناء معاهد العلم: أنه لما عرض عليه الشيخ أبو السمح إنشاء دار للحديث بمكة على غرار دار الدعوة والإرشاد، رحب جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بذلك، وقرر لها إعانة وأصدر سمو ولي عهده أمره الكريم بجعل دار الأرقم ذات التاريخ المجيد لتكون مقرًا لها.

هذا فيض من غيض من المكارم والشمائل.

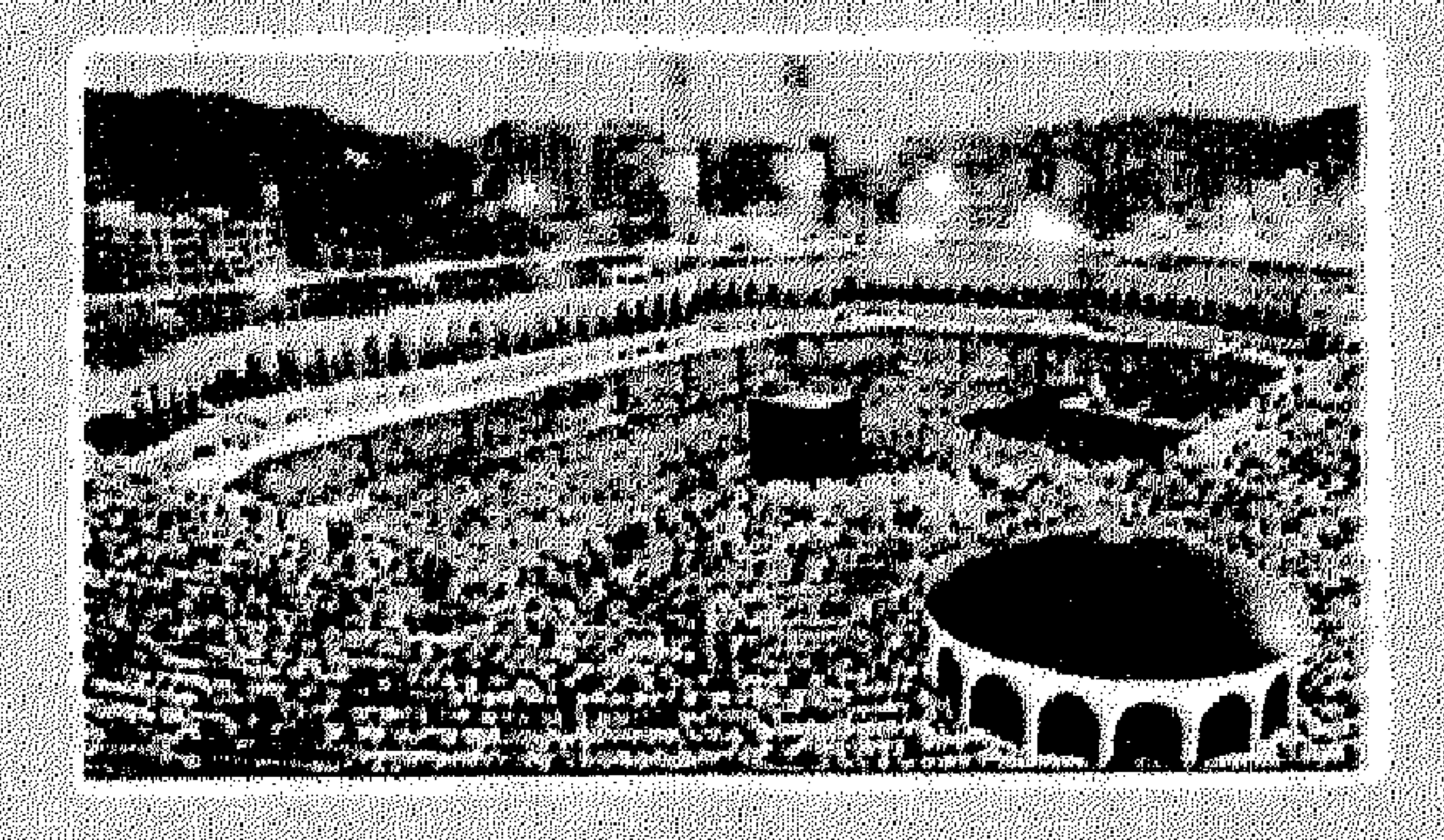
النصف من شعبان ليلة في الميزان

إعداد/ حسين الدسوقي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

خلق الله عز وجل الزمان وفضل بعضه على بعض، وجعل لبعضه وظائف من الطاعات يتعرض بها العباد إلى نفحات الرحمات.



ولكن أبى الكثير الالتزام بما اختار الله عز وجل في العام من مواسم الخير والطاعات، وأحدثوا غيرها، وفرطوا بالمقابل في مواسم البر، بينما بالغوا في مواسم مبتدعة، وتلاعبوا بالشرع، فأساءوا من حيث يظنون أنهم يحسنون صنعًا، يريدون أن يبدلوا كلام الله.

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ومن بين هذه المواسم المبتدعة ليلة النصف من شعبان، فخصُّوا نهارها بصيام، وليلتها بصلاة مخصوصة ودعاء وقيام.

وشهر شعبان كله على العموم موسم فضل - لا فرق فيه بين ليلة وليلة - قد ندب الشرع الناس إلى الإكثار من العبادة وفعل الخيرات في هذا الشهر كله، تمهيدًا للإقبال على شهر رمضان، أما تخصيص يوم النصف من شعبان بصيام، وليله بقيام، فلم يثبت فيه شيء صحيح عن النبي ﷺ ولم يعرفه أحد من أهل الصدر الأول.

قال ابن تيمية - رحمه الله -: «وصوم النصف من شعبان مفردًا لا أصل له بل يكره، وكذا اتخاذه موسمًا يصنع فيه الأطعمة والحلوى وتظهر فيه الزينة، وهو من المواسم المبتدعة التي لا أصل لها، وما قيل من قسم الأرزاق فيها لم يثبت».

[أسنى المطالب: ص٦٦]

وقال ابن دحية: «لم يصح في ليلة نصف شعبان شيء، ولا نطق بالصلاة فيها ذو صدق من الرواة، وما أحدثه إلا متلاعب بالشريعة الإسلامية». [أسنى المطالب ص٦٥، وفيض القدير شرح الجامع الصغير: ج٢ ص٣١٧]

وقال السيوطي في اللآلئ المصنوعة تعليقًا على حديث: يا علي من صلى مائة ركعة ليلة نصف شعبان.. إلخ. «وقد اغتر بهذا الحديث جماعة من الفقهاء كصاحب الإحياء وغيره وكذا من المفسرين وقد رويت صلاة هذه الليلة- أعني ليلة النصف من شعبان- على أنحاء مختلفة كلها باطلة موضوعة».

[الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ص٥١]

وقال الشاطبي في تعداده لأوجه البدع: «ومنها التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة، كالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته». [الاعتصام ٤٦/١]

وعلى كلٍّ فلا ينبغي تخصيص عبادات بأوقات لم يخصها بها الشرع لأن هذا التخصيص حق الشارع ليس للمكلف به شأن.

وحتى يُحكم أهل البدع والأهواء التلبيس على الناس، وتتأصل البدعة في نفوسهم، أضفو على هذه الليلة هالات من القداسة.

فادَّعَوْا أن ليلة النصف من شبعان هي التي يُفْرَق فيها كل أمر حكيم وابتهلوا فيها بدعاء يُعرف عندهم بدعاء النصف من شعبان نسبوه زورًا إلى الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو منه براء.

كما زعموا أن ليلة النصف من شعبان هي الليلة التي حوّلت فيها القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة.

وهذا الزعم مبني على الظن، بل قد وردت بعض الروايات الصحيحة عن البراء بن عازب رضي الله عنه تفيد بأن تحويل القبلة كان بعد ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا من الهجرة النبوية المشرفة، فكما عند البخاري في حديث رقم (٤٤٩٢) من حديث البراء أنه قال رضي الله عنه: «صلينا مع النبي ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، ثم صرفه نحو القبلة».

قال ابن القيم في زاد المعاد: أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، وذلك بعد ستة عشر شهرًا من مقدمه إلى المدينة قبل وقعة بدر بشهرين.

وقد هاجر النبي ﷺ في ربيع الأول، وعليه فلا يمكن أن يستدل منه على أن القبلة قد حُولت في ليلة النصف من شعبان بالتحديد، ومع افتراض صحة ذلك فإنه على كل حال لم يرد في الشرع ما يفيد الاحتفال بهذه المناسبات.

وأخيرًا، فإن الله تعالى قد أكمل لهذه الأمة دينها، وأتم عليها نعمته، وبلّغ رسوله ﷺ البلاغ المبين، فمن أراد طريق الجنة فإن خير الهدي هدي محمد ﷺ، ومن سلك غير طريقه ﷺ فهو على ضلالة، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.



آدم أبو البشر وإن رغمت أنوف

إعداد/ محمود المراكبي

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

لا يزال الباطل ينفث سمومه فلا تبرح [illegible] شاهين ببدعة جديدة، وعدنا إلى أصحاب نظرية النشوء والارتقاء بعد أن هجرها أصحابها لثبوت بطلانها، وتتلخص بدعته في أن [illegible] البشر خلقهم الله من طين، وأنهم أمة متخلفة وقوم همج تناسلوا من أب وأم شأنهم كشأن غيرهم من الحيوانات، وأنهم عاشوا على الأرض تسعة ملايين سنة، إلا أن الله اصطفى منهم آدم [illegible] وسواهما ونفخ فيهما من روحه، فتبدل حالهما وأصبحا نوعًا أرقى، وأنهما أصل الإنسان، فإذا [illegible] آدم من طين صح قوله على اعتبار الرجوع إلى أصله الأول، وإذا قال: إن له أبًا وأمًا كان [illegible] البشر، إلا أنهما تلقيا عن ربهما التكليف بالخلافة، وعلمهما الأسماء كلها، وأسجد لهما الملائكة، وأدخلهما الجنة، والجنة على الأرض وليست في الملأ الأعلى، فأكلا من الشجرة، فأخرجهما من [illegible] ليمارسا حياتهما وخلافتهما على الأرض، وغاية مراد صاحب هذه البدعة هو [illegible] الإيمان بنظرية النشوء والارتقاء، ويحاول أن يغلف أفكارهم بزي إسلامي [illegible] أي قيمة شرعية، أو علمية، أو حتى أدبية، وأنه يعتمد على [illegible] على نفي الحقائق الثابتة، وقد لاحظنا أن [illegible] فكانت لنا هذه الوقفة التي تحسم [illegible]

١- إن المؤمن يعرف الأسلوب القرآني في البلاغ، فهو يعتمد على جلاء الحقائق وبساطتها، والتأكيد على صحتها، والدليل على ذلك، حقيقة أن الشمس ضياء، وأن القمر نور، وحقيقة كروية الأرض، وحقيقة دور الجبال في اتزان الأرض، وحقيقة المسار البيضاوي في الفضاء وهو ما يعرف بالأفلاك، يكرر القرآن حقائقها في وضوح لا لبس فيه في العديد من المناسبات، وهذا الأسلوب أيضًا يستخدمه القرآن في الحقائق الإيمانية، كالإيمان بالجنة والنار والبعث والنشور، وأيضًا حقيقة تيسير القرآن للذكر التي وردت بنفس ألفاظها في أربعة مواضع، وأحيانًا تتكرر الآيات أكثر من ثلاثين مرة كما في سورة الرحمن في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، وهذا الأسلوب استعمله النبي ﷺ أيضًا حين كان يكرر قوله ثلاث مرات، حتى ترسخ معانيه وتتأكد، وأحيانًا يظل يكرر حديثه حتى يقول أصحابه ليته سكت كما في تحذيره من خطورة شهادة الزور، فلماذا غابت فكرة صاحب تلك البدعة عن النص الواضح الجلي لآيات القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة؟ وإذا كرر القرآن مراحل خلق آدم من تراب ثم من طين ثم من صلصال من حمأ مسنون، وعلمنا مراحل خلق الجنين من نطفة إلى علقة، إلى مضغة، إلى عظام؛ ألا تستحق تسعة ملايين سنة عاشها أجداد - آدم حسب زعمه - في ضلال وجهل وهمجية إلى نص واضح، لا شك أن هذا يناقض الفهم السوي

آدم أبو البشر وإن رغمت أنوف

للأسلوب الرباني في القرآن والسنة.

٢- إن جميع الشطحات التي أخرجت أصحابها من الملة، أو حادت بهم عن جادة الطريق تأتي من أناس يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون لك: لاحظ الفساء هنا، وثم هناك، ثم يستخرجون معاني وتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان، ولو أن ما يريدون الوصول إليه من الدين حق لنصت عليه الآيات المحكمات، ولأكدت الأحاديث البينات، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وللناس أن تنظر وتتأمل وتعمل الفكر فيما قرره الشرع، ولها أن تكف حين تكلف بالتوقف وعدم الخوض، ومن خاض فيما لا يدركه، فسيكون حظه إدراك الخسران والبوار، وهذه مقدمة لازمة بين يدي الموضوع، وضرورة لكل من يدافع عن هذا الدين أن يدركها ويحتمي بها، فيا ترى ما أثاره صاحب تلك البدعة أيوصل إلى فهم أم إلى خسران؟

٣- من علامات الخسران أن يحدث الرجل قومه بما لم يسمعوا به من قبل، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: «سيكون في آخر أمتي أناس، يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم»(١).

٤- قول الحق تبارك وتعالى في سورة الكهف: ﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾، وتنفي هذه الآية قدرة الناس أجمعين على الخوض في مراحل خلق السماوات والأرض، وأيضًا مراحل خلق أنفسهم، وهذا يشمل خلق آدم فهو أول البشر، وأن الله تبارك وتعالى غني عن اتخاذ البشر مساعدين له في بيان ما لم يشهدوه أصلاً، وأن أي محاولة في معرفة هذه المراحل ستأتي من ضالين ومضلين، وما كان الحق تبارك وتعالى ليتخذ المضلين عونًا وعضدًا، وهذه هي السنة الإلهية المسطورة في القرآن الكريم. ولو أراد أن يطلعنا جل شأنه على تلك المراحل لفعل، وما كان له تبارك وتعالى أن يتركنا نتلقى كيف خلقنا عن هذا الكاتب صاحب هذا الزعم؟

٥- تفسير الكاتب ينقلنا من معجزة خلق الخليفة آدم من تراب، وإسجاد الملائكة له، إلى خلق البشر من تراب، ثم حياتهم كهمج وقبائل متخلفة مدة من الزمان يتناسلون كالبهائم، ثم يختار منهم آدم وحواء، ثم يصطفيهم بالتسوية والخلافة.

٦- يزعم الكاتب أن آدم نفخت فيه الروح مرتين، مرة عندما ولد كبشر متخلف، ومرة عندما اصطفاه الله للخلافة، ولا دليل له في هذا الافتراء، ولهذا اضطر إلى تفسير النفخة الثانية بعد التسوية بأنها العقل، ولما خشي أن يقال له إن كل الأمم عندها عقل وفطرة تناسب حياتها، جعل النفخة الثانية: التكاليف الشرعية.

٧- ويزعم أيضًا أن الله تعالى أسجد ملائكته لخلق رعاع وهمج، ولو كان هذا الزعم صحيحًا لجاء دفاع إبليس عن عدم سجودة مختلفًا عن قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾)) الإسراء: ٦١]، ولكان الأولى أن يقول: أأسجد لواحد من جنس متخلف؟

٨- لم يبرر الكاتب ما سبب فناء قوم آدم وحواء: أعمامهما، وأخوالهما، ووالديهما، وإخوتهما، وكل بني البشر، إن وفاتهم أيسر مخرج للكاتب من شطحاته، فأي روائي لا يجد أمامه سوى القضاء على بعض شخصيات رواياته ليستمر في حبكته الدرامية كما يقولون. وتقيينا أننا خسرنا- لو صدقت مزاعمه- دليلاً ماديًا عظيمًا على النقلة النوعية التي حدثت لآدم وحواء، خاصة إذا بقيا على صلة جديدة للرحم بين الإنسان وأقاربه من الهمج والرعاع! أيعيش البشر ملايين السنين حسب تقدير الكاتب، ثم تختفي أعيانهم بموتهم، ثم تختفي آثارهم أيضًا، فلا نعثر على دليل مادي واحد عن وجودهم المختلق.

٩- ماذا يضير الكاتب أن يكون آدم مخلوقًا من طين ثم يتلقى الخلافة والتكليف مباشرة؟ أيعجز الله عن ذلك؟ ثم إذا كان خلق آدم بصورة الخلافة يحتاج إلى وساطة قوم همج، فما بالك بخلق الملائكة؟ ألا يحتاجون إلى مراحل متعددة قبل أن يصلوا إلى ما هم عليه من النقاء والطاعة والإخبات لله تعالى؟ وأين وسائط خلق الجن، وهم شقائق الإنس في التكليف، لابد أن الكاتب ينتظر أن يظهر داروين جديد يقول بارتقاء الجن أيضًا حتى يطلع علينا بتأويل جديد يستكمل به الموضوع.

١٠- تكذيب القرآن لأفكار الكاتب، فالمخلوق بيد

الله تعالى هو آدم، وليس جد البشر الذي من نسله كان آدم، يقول سبحانه رافضًا استكبار إبليس بالسجود لآدم: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [سورة ص: ٧٥]، وأما الكاتب فيجعل ما خلقه الله بيديه قومًا متخلفين.

١٢- إن ما توصل الكاتب إليه في بحثه هذا يعد أوضح مثال لنتائج أبحاث الذين لا يكتفون بالقرآن الكريم، ويرفضون السنة، بدعوى عدم ثبوتها وحرصهم وحذرهم أن تكون من الإسرائيليات، وهم بهذا يفرقون بين الله ورسوله المبلغ عنه، فاستهانته بالسنة النبوية، جرأته على اتهام ما هو ثابت فيها بأنه إسرائيليات، ويعلن أن هدف بحثه هو سعيه الدءوب لتنقية الفكر الإسلامي مما علق به من أباطيل، ومن الغريب أن قصة خلق آدم في العهد القديم لم تتطرق على الإطلاق لتعليم آدم الأسماء، ولا أمر سجود الملائكة له، ولا امتناع إبليس عن السجود لآدم، ولا طرد إبليس من رحمة الله، ولا عداوة إبليس لآدم وذريته، فأركان القصة القرآنية لخلق آدم لا تتدخل فيها الإسرائيليات، والأغرب أن الكاتب حين يريد أن يسوق سببًا لتفسيراته، فأول شيء يفعله أن يلجأ إلى الأحاديث الموضوعة وهي أوهى من الإسرائيليات، فهو يستدل قائلاً: وفي الحديث القدسي: كنت كنزًا مخفيًا فأردت أن أُعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني. وأهل العلم بالسنة يقولون: هذا قول موضوع لا أصل له، وعندما يساق إليه الصحيح من البخاري ومسلم يقول تلك إسرائيليات، وتصرفه هذا أصابنا بالحيرة في أمره: فلو أنه رجع إلى السنة لأوصلته إلى الحقائق التالية:

أولاً: حديث شرف نسب النبي ﷺ يرويه علي بن أبي طالب، وعائشة، والسائب بن يزيد الكندي، وأنس بن مالك، وابن عباس، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث أن رسول الله ﷺ، قال: «ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما، فأخرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي، ولم يصبني من عهر الجاهلية، وخرجت من خيركم نفسًا، وخيركم أبًا»، والحديث يؤكد طهر نسب أجداد النبي وأولهم آدم، بينما الكاتب يزعم أن آدم ولد من سفاح الجاهلية، من أقوام أشبه بالبهائم، وهذا طعن في شرف آدم، ونسب جميع الأنبياء، وخاتمهم المصطفى ﷺ.

ثانيًا: حديث الشفاعة فيه الإجابة الشافية من مزاعم الكاتب، فيروي البخاري بسنده في صحيحه عن النبي ﷺ أن بعض الناس يقولون يوم القيامة بعد أن اشتد الموقف: «أبوكم آدم فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا؟» وحقائق الحديث جلية، فآدم أبو البشر، وقد أبدلهما الكاتب إلى آدم ابن البشر، إن الله خلق آدم بيده مؤكدًا نفس الحقيقة القرآنية، وليس الأمر خلقًا مجازيًا:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

ثالثًا: إن نفخ الروح في آدم كان بعد أن سواه الله تعالى من طين، يروي أبو هريرة: «كان أول ما جرى فيه الروح من آدم بصره وخياشيمه، فلما جرى منه في جسده كله عطس، فلقنه الله حمده، فحمد ربه، فقال الله له: رحمك الله، ثم قال الله له: اذهب يا آدم إلى أولئك الملأ فقل لهم سلام عليكم، فانظر ماذا يردون عليك، ففعل ثم رجع إلى الجبار، فقال له وهو أعلم: ماذا قالوا لك؟ فقال: قالوا: وعليك السلام ورحمة الله، فقال له: هذا يا آدم تحيتك، وتحية ذريتك»(٢).

رابعًا: حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: الذي يرويه عن رسول الله ﷺ حيث يقول: «إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جعل منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبَيْن ذلك، والسهل والحَزْن، وبَيْن ذلك، والخبيث والطيب، وبَيْن ذلك»(٣)، وللحديث شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما(٤)، وقد ورد هذا الحديث في ثلاثة وعشرين موضعًا في أبرز مصادر الحديث الشريف، وقال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وسنعرض إسنادًا واحدًا لحديث واحد للتعرف على مراتب الجرح والتعديل لرواته، وليكن حديث الترمذي، وله أربع طرق نكتفي منها بدراسة إسناد طريق واحد حتى لا نطيل على القارئ الكريم، وسلسلة إسناد هذا الطريق هو: حدثنا محمد بن

بشار، حدثنا يحيى بن سعيد، قال: حدثنا عوف بن أبي جميلة الأعرابي، عن قسامة بن زهير، عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ ... الحديث.

- فشيخ الترمذي في الحديث هو محمد بن بشار، وهو من رجال البخاري ومسلم، وثَّقه الإمام مسلم، والعجلي، وعبد الله بن سيار، وقال عنه ابن خزيمة: إمام أهل زمانه، وقال عنه الدارقطني: من الحفاظ الأثبات.

-الراوي الثاني: هو يحيى بن سعيد القطان، وهو ثقة متقن حافظ قدوة، كما قال ابن حجر العسقلاني، وقال عنه الأئمة أبو زرعة الرازي: من الثقات الحفاظ، وأبو حاتم الرازي، قال: حجة حافظ، وقال عنه عبد الرحمن بن مهدي: لا ترى عيناك مثله، وعلي بن المديني قال: ما رأيت أعلم بالرجال منه، وما رأيت أثبت منه، وقال عنه أحمد بن حنبل: الرجل الثقة إليه المنتهى في التثبت بالبصرة، عالم بالفرائض، صالح الفقه، ولا يقاس به في العلم أحد، ولم نرَ مثله في كل أحواله، وقال عنه أبو يعلى الخليلي: إمام بلا مدافعة، احتج به الأئمة كلهم، وقالوا من تركه القطان تركناه، وقال عنه ابن سعد: ثقة مأمون رفيع حجة.

-أما الراوي الثالث فهو عوف بن أبي جميلة: فقد وثقه ابن سعد، وأحمد بن حنبل، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال النسائي: ثقة ثبت، ووثقه يحيى بن معين، وقال عنه أبو حاتم الرازي: صدوق صالح.

-أما الراوي الرابع الذي نقل الحديث عن الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري فهو قسامة بن زهير: فقد وثقه العجلي، وابن حبان، وابن سعد، والذهبي، وابن حجر العسقلاني.

إن دراسة إسناد هذا الطريق وحده تؤكد أن رجاله ثقات، وفيهم أئمة من أئمة الحديث، ومراتبهم في أعلى درجات التوثيق، فلا عجب أن يصحح الترمذي الحديث. وإذا تجاهل الكاتب مثل هؤلاء الرواة فكيف نحافظ على السنة من جراة المغرضين، كل ذلك يدعونا إلى أن البحث عن السبب وراء إصراره على إحداث هذه البلبلة التي نسف بها صورته كرجل خدم اللغة العربية ودرسها عقودًا عديدة.

إن النتائج التي جناها الكاتب من أفكاره هي: الخوض في نسب الأنبياء، حين وصم آدم بأنه ابن قوم لا يعرفون النكاح، وإني والله أستحيي أن أصف مضمون قوله أن آدم ابن زني، والعياذ بالله، ومن ثم الطعن في نسب كل الأنبياء، وأيضًا إعراضه عن السنة الصحيحة المؤكدة، ورفض أحاديث نقلها رواة الحديث الثقات الأثبات، ثم عرْض الناس لما لم يسمعوه هم ولا آباؤهم، فقد عزل نفسه بما لا طائل من ورائه، لقول النبي ﷺ: «فإياكم وإياهم».

نختم قولنا في هذا الموضوع بتحذير النبي ﷺ لأمته من زلة العالم، وقد سماها النبي ﷺ زلة لأن العالم الحقيقي هو الذي لا يجد غضاضة في الاعتراف بالخطأ، ويسارع إلى الحق، على عكس أهل الكبر الذين يصرون على الخطأ ويقفون في نفس الخندق إلى نهاية المطاف، فما عاد آدم إلى الرضوان إلا بالاستغفار، وما طرد إبليس إلا بالكبر والإصرار، نسأل الله السلامة والغفران، فنحن نأمل في رجوعه عما سلف، فحزننا كبير أن يضيع الشيخ ما جناه في حياته من سمعة طيبة بهذه الكبوة، والأهم من ذلك سلوكه غير سبيل المؤمنين.

والله يهدينا سواء السبيل.


الهوامش:

(١) رواه مسلم في الصحيح، وأحمد في مسنده، والبدع لابن وضاح، والبيهقي في دلائل النبوة، وأبو يعلى الموصلي في مسنده، والحاكم في المستدرك، وفي معرفة علوم الحديث.

(٢) وهو حديث أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، وابن سعد في طبقاته، وابن حجر في المطالب العالية، رواه اثنان من الحفاظ هما: عبد الله بن المبارك، وعمرو بن محمد بن بكير، عن إسماعيل بن رافع وهو ضعيف الحفظ، عن سعيد المقبري وهو ثقة عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) حديث أبي موسى الأشعري أخرجه ابن حبان في صحيحه، وأبو داود في سننه، والبيهقي في سننه الكبرى وفي موضعين من كتابه الأسماء والصفات، وابن بطة في الإبانة الكبرى، وأخرجه الترمذي، وأبو داود، وأحمد بن حنبل في موضعين من مسنده، وعبد بن حميد في مسنده، والبزار في البحر الزخار، والروياني في مسنده، ومعجم الصحابة لابن قانع، وابن خزيمة في موضعين من كتابه التوحيد، وأبو الشيخ في العظمة، والطبري في جامع البيان في تفسير القرآن، وأبو نعيم في موضعين من حلية الأولياء، وفي معجم الصحابة أيضًا، وابن سعد في طبقاته الكبرى، والخطابي في العزلة، والترمذي في سننه.

(٤) حديث عبد الله بن عباس أخرجه الحافظ ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية.


جماعة أنصار السنة المحمدية
إدارة المشروعات
ندعوكم للمساهمة في
مشروع المليون حافظ
ساهم معنا في بناء مكاتب تحفيظ القرآن على مستوى الجمهورية
مشروع الصدقة الجارية
بناء مساجد
مدارس ومكاتب تحفيظ
مستوصفات وتجهيزاتها
دور أيتام
فرش المساجد
آبار مياه
ترميم مساجد
مبردات مياه
بدعمكم سننشر الخير إن شاء الله
للاستفسار



لمن يرغب التبرع يرجى التوجه إلى المركز الرئيسي لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة ٨ شارع قولة. عابدين. أو الاتصال برقم ٣٩٥٩٢٠٣ أو الإيداع على حساب رقم ٢١٣٧٩٧ بنك فيصل الإسلامي. يرجى إرسال صورة الحوالة على الفاكس رقم ٣٩٥٩٢٠٣ أو عمل حوالة بريدية باسم / مدير إدارة الأيتام على مكتب بريد عابدين على نفس العنوان